بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور انفسنا ، وسيئات اعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، واشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٢] . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءاً واتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ . إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء : ١] . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الاحزاب : ٧٠] . أما بعد :

فان اصدق الحديث كتاب الله ، واحسن الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار . أصبحت الديمقراطية شعاراً يرفع وراية يُعمَلُ تحت لوائها يغنون لها ويتاجرون على حسابها بل أصبحت نظاماً للحكم فى العديد من الدول حتى هذه التى تقول ان دينها الرسمى هو الإسلام ، وتصورت قطاعات كبيرة من البشر ان المشاكل التى يعانون منها سببها الرئيسى هو غياب الديمقراطية الحقيقية وانهم يأخذون الديمقراطية بالقطارة ويمن حكامهم عليهم بهذه القطرات البسيطة وكأنهم يدفعون من جيبهم الخاص وان الأنظمة الديكتاتورية تمنع حق الناس فى التنعم بظلال الديمقراطية ويوم تطبق الديمقراطية بحذافيرها فسيعيشون فى جنة على ظهر الأرض وانهم سيواصلون مسيرة الجهاد لتحصيل هذه المكاسب الديمقراطية بل وخرج بعض من ينتسب للعلم الشرعى يهتف هو الآخر بالديمقراطية الاسلامية وطالما ان فى الإسلام شورى اذاً فالديمقراطية نظام اسلامى ولا مانع من اضافة هذه الكلمة للإسلام كما اضيفت من

قبل كلمة الاشتراكية وغيرها للإسلام من هنا كان واجباً ان نقف هذه الوقفة مع هذه الكلمة التى اصبحت تمثل منهجاً للحياة نستبين معها معنى كلمة الديمقراطية وكيف نشأت ونزنها بميزان الكتاب والسنة ونبين فيها حكم من ينادى بالديمقراطية وهى وقفة واجبة باذن الله تعالى ، لان الدين النصيحة كما قال ﷺ فى حديث تميم الدارىّ الدين النصيحة (ثلاثاً) « قلنا لمن يا رسول الله قال لله (عز وجل) ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم » [رواه مسلم] وخصوصا أنه قد شاع هذا المصطلح وتكلم به الرجال والنساء والكبار والصغار وكثير منهم يظن انه يحسن الصنع عندما يلوكه بلسانه دون فهم لمعنى الكلمة وما يراد من ورائها فيا عباد الله الحياة بغير الله سراب ﴿ يَحْسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءاً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَاهُ حِسَابَهُ واللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ . والعيش بغير منهج الله ضياع ونكد ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ﴾ [طه : ١٢٤] ويا حسرتا على العباد الذين باعوا دينهم بدينا غيرهم واضاعوا انفسهم بمناهج وضعية كفرية واتبعوا أمر كل جبار عنيد وتابعوا كل شيطان مريد فاللهم بك نصول وبك نجول وبك نحارب وفى سبيلك نجاهد ، آمنا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً وأيقنا ان الإسلام يعلو ولا يعلى عليه ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينِ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُبِينْ ﴾ ونسأل الله تعالى ان يجمع قلوبنا على دينه وان يجعلنا من الذين يعلمون الحق وبه يعدلون . اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ولا تجعله ملتبساً علينا فنضل واجعلنا للمتقين اماما . وصلّ اللهم وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد النبى المصطفى والرسول المجتبى ﷺ وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

الاسـكندرية فـي
٥ من رجب ١٤١٠ هـ
١ من فبراير ١٩٩٠ م

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد : فهذه الطبعة تصدر فى تلك الآونة العصيبة من تاريخ هذه الأمة وقد تفجرت أحداث الخليج واشتعلت الحرب فى المنطقة وكان من أخطر نتائجها ، تلويح حاكم أمريكا بإقامة نظام عالمى واحد تتزعمه أمريكا وهذا النظام هو الديمقراطية وهذا يفسر لنا التحولات التى تجرى فى البلدان الشيوعية الآن لإقامة نظم ديمقراطية بل ويفسر لنا أيضاً تصريحات حكام دول المنطقة بتطبيق الديمقراطية الإسلامية عقب الإنتهاء من الحرب . وقد زعم هؤلاء أن الإسلام هو التطبيق المثالى للديمقراطية !!

ولاشك أن هذه من أخبث الدعوات التى أفرزها الموقف فى الخليج والتدخل الأمريكى . وقد كثر الحديث فى أيامنا هذه عن الإجماع الدولى والشرعية الدولية وكأن هذه الكلمات المستوردة قد أصبحت هى البديل عن الإجماع الذى يعرفه المسلمون من مثل قوله تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾ . وهذا الإجماع المعتبر هو إجماع العلماء المجتهدين فى عصر من العصور على حكم شرعى والشرع مبناه على الكتاب والسنة ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾

فهل الإجماع الدولى والشرعية الدولية كذلك ؟ وإذا كان مرد الأمور عند المسلمين لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ فلا عبرة إذن ولا إلتفات لقرارات الهيئات المشبوهة مثل هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ويتأكد ذلك إذا صادمت هذه القرارات كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ أو كانت على حساب مصلحة الإسلام والمسلمين .

ومن الواضح أن هذه الهيئات تكيل بمكيالين وتزن بميزانين ومن أصرح الأمثلة على ذلك ، إغتصاب اليهود لفلسطين وإنتهاك الحرمات وترويع الآمنين ومحاولتهم إقامة هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى ، فهل حركت هيئة الأمم ساكناً ؟ وهل ردت الحقوق لأصحابها ؟ والإجابة على ذلك أنها لم ولن تفعل ، إن عقد الإخاء وثيق بين مللَ الكفر ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ ولذلك حذرنا منهم رب العزة جل وعلا فقال سبحانه ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ وقال تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ﴾ .

روى الإمام أحمد عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قلت لعمر رضى الله عنه : لى كاتب نصرانى ، قال: مالك قاتلك الله ، أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ﴾ ألا اتخذت حنيفاً ، قلت ياأمير المؤمنين لى كتابته وله دينه ، قال : « لا أكرمهم إذ أهانهم الله ولا أعزهم إذ أذلهم الله ولا أدنيهم وقد أقصاهم الله » .

وروى الإمام أحمد ومسلم أن النبى ﷺ خرج إلى بدر فتبعه رجل من المشركين فلحقه عند الحرة ، فقال : إنى أردت أن أتبعك وأصيب معك ، قال : « تؤمن بالله ورسوله ؟ قال : لا . قال : ارجع فلن أستعين بمشرك » . ومن هذه النصوص يتبين لنا تحريم تولية الكفار أعمال المسلمين التى يتمكنون بواسطتها من الإطلاع على أحوال المسلمين وأسرارهم ويكيدون لهم بإلحاق الضرر بهم .

والناظر فى الأحداث الدائرة الآن سيجد بالإضافة لتمزيق الأمة وتفتيتها وإزهاق أرواح الأبرياء دون وجه حق وتدمير آلة الحرب العراقية وإستيلاء القوى الأجنبية على منابع البترول فى الخليج والتحكم فى اقتصاديات المسلمين وجعل أمريكا بمثابة القبلة التى يتوجه إليها البشر لإقامة الحق والعدل بل والشرطى الذى يحقق ذلك — نقول بالإضافة لذلك كله فقد أوشك مفهوم الولاء والبراء أن يضيع ويميع فى حس

المسلمين ولا نغالى إذا قلنا أن المستفيد من هذه الحرب هم اليهود والصليبيون والشيوعيون والروافض أصحاب ثورة إيران . فنعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، فهى فتنة تربو وتزيد على فتنة التتار والحملات الصليبية.وثورة الزنج والقرامطة ، وفى الوقت الذى تعالت فيه الصيحات مطالبة بالرجوع لدين الله وتطبيق شرع الله فى السياسة والإقتصاد والإجتماع والأخلاق وكانت هذه الصحوة الإيمانية الوليدة التى يخشى الشرق والغرب بأسها ولذلك ما كادت شرارة الحرب تندلع حتى أتى أعداء الإسلام والمسلمين بخيلهم وخيلائهم يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . ولا يكاد يمر علينا يوم إلا ونسمع فيه التصريح بهذا النظام العالمى الواحد ، وقد لا يستغرب هذا بالنسبة للغرب إذ النصرانية التى يدين بها — وإن كان قد تفلت منها — هى عبارة عن بعض الأخلاق والأحكام لا تقيم نظاماً متكاملاً للحكم ، هذا بالإضافة إلى الهزيمة التى مُنيت بها الكنيسة هناك فانفصل الدين عن الدولة ولذلك فالمعارك الحزبية فى الغرب تجرى بعيداً عن ساحة الدين . وقد أصبحت معظم أنظمة الحكم فى عالمنا المعاصر تنقسم إلى نوعين أساسين :

الأول : هو ما يطلق عليه إسم النظام الشمولى القائم على فكرة الحزب الواحد أو التنظيم الواحد وهو لا يسمح بالتكتل المعارض .

الثانى : هو النظام الديمقراطى ومن سماته التعدد الحزبى ، وتعتبر المعارضة ركيزة من ركائزه الأساسية . ومن عجيب الأمر أن يتنادى الأمراء والملوك بالأخذ بالنظام الديمقراطى مرددين بذلك مقولة حاكم أمريكا ، فبدلاً من أن ينيبوا إلى ربهم ويتوبون إليه ويحكّمون شريعته حتى يرفع كربه ومقته عن هذه الأمة إذا هم يتسابقون فى تقديم فروض الولاء والطاعة للكفار والملاحدة .

فما هى العلاقة بين الإسلام والديمقراطية والله عز وجل يقول : ﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ وقال أيضاً : ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ وعلى النقيض تماماً نجد مبادىء الديمقراطية تقول إن الحكم للشعب بالشعب لصالح

الشعب . فالإله المعبود عند الديمقراطيين هو الشعب ولاشك أنها صورة من صور الوثنية العصرية .. فأى علاقة تربط بين الإسلام والكفر .. قال تعالى ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ فالمسلم يُخضع أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته لشرع الله تعالى ﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ فما من صغيرة ولا كبيرة إلا ولها حكمها فى دين الله ، علم ذلك من علمه وجهله من جهله .

وختاماً : فالواجب على المسلمين أن يراجعوا إسلامهم ويطبقوا كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ وأن يتحرروا من روح الإنهزامية الشديدة التى تأسر قلوبهم وليعلموا أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وعلى كل من أراد سعادة الدارين والنجاة فى الدنيا والآخرة ، أن يسلم وجهه لله . فالإسلام هو الطريق الوحيد للنجاة .. وهو سفينة نوح التى من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك ، وهو دين الله عز وجل وشريعته الحكيمة الباقية المعصومة إلى قيام الساعة .

« وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين »

١ ـ واقع البشرية ونظريات الإصلاح : ـ

عندما ذهبت البشرية تلتمس الهدى فى غير شرع ربها ضلت وأضلت ولم تجد السعادة التى كانت تنشدها ولا الراحة التى كانت تتلمسها وذلك لانها أسلمت رقبتها لبشر سماتهم النقص والقصور لا يدركون كثيراً من مصالحهم الحقيقية فضلاً عن أن يقودوا البشرية الى حياة الخير وبر النجاة ، ثم تنازع هؤلاء الذين انحرفوا عن منهج خالق الخلق ومالك الملك فى حجر الزاوية واساس الإصلاح فقال البعض البداية تكمن فى الاصلاح الاقتصادى وبصلاحة تنصلح الدنيا بأسرها وخالفهم فريق آخر فقال بل اساس كل صلاح أو إصلاح هو الحكم والسياسة وظهرت نظريات وفلسفات وخرجت جيوش من المصلحين يعالجون عوج البشرية وياليتهم اذ شخصوا الداء عرفوا دواءه واستقاموا على منهج الله بل كانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار فعالجوا الانحراف بإنحراف والعوج بعوج آخر ، وقامت العلوم الانسانية فى الغرب وفى مقدمتها التربية على اسس خطيرة وهذه الأسس باختصار شديد .

١ ـ النظرية المادية التى لا تعترف بوجود الخالق جل وعلا وتضع مكان كلمة الله عبارة الطبيعة واصبحت الطبيعة هى الاله الجديد عند الغرب الذى يعطى ويمنع وبمقتضاها يسير الكون وفق هذا النظام المحكم الدقيق ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[يس : ٤٠] .

٢ ـ النظرية التى تخضع الانسان لمفهوم الحيوان سواء من ناحية النفس (وهذه نظرية فرويد) أو المعدة (كارل ماركس) أو مسئولية المجتمع (نظرية دور كايم) .

٣ ـ نسبية الأخلاق باعتبار ان الأخلاق ليست من الدين ولكنها عادات وتقاليد .

وهؤلاء جميعاً اخطأوا الطريق ولا يشفع لهم حسن نواياهم ان وجدت وهم خالفوا مقتضى العقل والفطرة والكتب المنزلة والانبياء المرسلة فى آن واحد لما تباعدوا عن دين الله الذى ارتضاه للعالمين ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ

الخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤] . ومعرفة الواقع من حيث هو واقع امر مطلوب ومشروع إذا أردنا ان ننهض من كبوتنا وان نبلغ رسالة ربنا للخلق كافة من باب عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه . ولحديث حذيفة رضى الله عنه قال : « كانت الناس تسأل رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى فقلت ... من البخارى » وكما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه « يهدم الإسلام إذا نشأ فيه من لا يعرف الجاهلية فقلت يا رسول الله إنا كنا أهل جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير » رواه البخارى . والجاهلية صور مكرورة لا تقتصر على حقبة زمنية ولا على مكان دون آخر وقد ذكر لنا منها القرآن عدة صور مثل ١ ــ تبرج الجاهلية ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب :٣٣] . لكون المرأة كانت تظهر خصلة من شعرها أو تسير مسفحة بصدرها وسط الرجال . ٢ ــ حمية الجاهلية ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ ﴾ [الفتح :٢٦] . ٣ ــ حكم الجاهلية ﴿ أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠] . ٤ ــ ظن الجاهلية ﴿ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ ﴾ [رواه البخارى] . ولما سمع النبى ﷺ احد الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً يعير أخاه بأمه قال له ﴿ انت امرؤ فيك جاهلية ﴾ ولا شك ان غفلة البشرية وانسلاخها اليوم عن دين الله امر لا يخفى على احد فانتشرت الجريمة والظلم والانحلال والفضائح السيّاسية وانعدمت الاخلاق بالرغم من التقدم المادى ووجدت مشكلات كثيرة يتولد بعضها عن بعض ويؤثر بعضها فى وجود بعضها الآخر والالحاد الآن يعتبر ام المشكلات واحدى مظاهر العصر وهو عبارة عن كفر بالخالق وميل عن طريق اهل الإيمان ومع طغيان موجة الالحاد أصبحت الكنيسة بخزعبلاتها اثراً من آثار الماضى واختفت تقريباً عدة نِحَل : مثل الهندوكية والبوذية امام مد الالحاد الغربى والحياة العصرية بل العالم الإسلامى والذى يقر بالتوحيد نوعاً ما لم يسلم من هذه الموجات الالحادية والتى اصبحت تشكك بعض ابنائه فى دينهم والالحاد الآن هو الدين الرسمى المعبر عنه بالعلمانية اللادينية فى كثير من بلدان الغرب والشرق على حد سواء ... الأمر الذى ولد فى النهاية ما يسمى بحضارة القلق على قول

البعض واذا كان الواجب علينا معرفة التوحيد وما ينافيه من الشرك والحلال والحرام والفرائض بما تصح وبما تبطل والأمور التى تستصلح بها القلوب كالصبر والشكر والاخلاص فان من الواجب على الانسان ايضا اذا وقعت شبهة ان يتعلم من دين الله ما يستدفع به هذه الشبهة عن نفسه وما اكثر الشبهات والنظريات والفلسفات التى يموج بها الواقع ! مثل الاشتراكية والديمقراطية والفرعونية وزمالة الاديان وبسبب الجهل بواقعها وحقيقتها انحرفت فيها قطاعات من الناس ينادون بها ويصرخون بتطبيقها والعيش فى ظلالها يفعلون ذلك مع صلاتهم وصيامهم ولا يجدون حرجاً من الخلط بين الإسلام وغيره من النظم والفلسفات .

٢ ـــ الصراع بين الحق والباطل :

وهذه السنة من اهم السنن الربانية ان يدور صراع بين الحق متمثلاً فى دين الحق الذى ارتضاه ربنا للعالمين من لدن آدم حتى قيام الساعة وبين غيره من النظم والدساتير والفلسفات والمناهج المعوجة والمنحرفة عن الإسلام وفى ذلك يقول تعالى ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ ﴾ [البقرة : ٢٥١] . ويقول سبحانه ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ [الحج : ٤١] . واعظم معروف هو اخلاص العبودية لله جل وعلا وأول منكر هو عبادة غير الله من الطواغيت والاهواء والشهوات والاعراض عن شريعة الله فإذا ثبت اصحاب الحق وصبروا وصابروا تحقق لهم وعد الله بهزيمة الباطل وهذا الصراع لا تنهيه معركة واحدة ولا حتى مئات المعارك اذ انه يتخذ عدة اشكال ويمتد فى مساحات طويلة تجعل الإنسان يقضى حياته كلها فى هذا الصراع وقد يهدأ فى بعض الجوانب ويشتد فى جوانب أخرى واستمراره يأتى من كثرة الاعداء فى الداخل والخارج ، من النفس والاقارب والأموال والازواج ومن الشيطان وجنوده ومن الكفار على اختلاف ألوانهم وأشكالهم يهوداً كانوا أو نصارى أو ملاحدة ، والانسان وهب من القدرات والقوى ما يستطيع به مع توفيق الله وهدايته من السيطرة

والانتصار ، وهذا الصراع بدأ مع خلق آدم وأمر ابليس بالسجود له فامتنع محتجاً بشرف عنصره وانه خلق من نار فكيف يسجد من خلق من نار لمن خلق من الطين فخاب اللعين وخسر عندما اعترض على امر ربه ولم يذعن ولم يخضع له بل ولم يستغفر ربه حين عصى بل تمادى فى غيه وسأل الله النظرة والمهلة الى يوم القيامة وقال رب ﴿ فَأَنْظِرْنِى إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الحجر : ٣٦] . واقتضت حكمة الله إمهاله الى يوم القيامة قال : ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ [الحجر : ٣٧] . وجعل يطيف بآدم فوجه خلق خلقاً اجوف فقال لئن سلطت عليك لأهلكتك ولئن سلطت عليّ لأعصينك . فوسوس لأبينا آدم عليه السلام بالأكل من الشجرة التى نُهى عن الأكل منها واقسم لهما بالله انه لهما لناصح ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلّٰهُمَا بغرور فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجْرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهما وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣] . لم يعهدا من قبل ان يجدا مخلوقا يقسم بالله كذباً ولذلك يقول العلماء من خدعنا بالله انخدعنا له ثم أمر الجميع بالهبوط الى الأرض ﴿ وَقُلْنَا اهبِطُو بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة :٣٦] . وقطع ابليس عهداً على نفسه فقال ﴿ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُضاً ﴾ [النساء :١١٨] . وقال : ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر : ٣٩] . وقال أيضاً : ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧] . وحذر رب العزة عباده من كيده ووسوسته فقال : ﴿ يَابَنِى آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ [الأعراف : ٢٧] . وامتد الصراع الى بنى آدم

وبنى ابليس وبين لنا ربنا جلّ وعلا ان الشيطان ﴿ إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] . وانه لا حجة له فى اغواء العباد ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الإسراء : ٦٥] وكل سلطان فى القرآن فهو الحجة كما قال ابن عباس رضى الله عنهما « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور

والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات » [البقرة : ٢٥٧] .
صراع بدأ ولم ينته بل ولن ينتهى حتى تنتهى الحياة وفى الحديث ﴿ الجهاد ماض فى أمتى لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل حتى يقاتل آخر رجل من امتى المسيح الدجال ﴾ ضعيف السند وله شواهد كقوله مثل ﴿ الجهاد ماض مع كل بر وفاجر ﴾ من رواية مكحول عن ابى هريرة ولم يسمع منه ... وفى الحديث الآخر «الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والغنيمة » رواه البخارى ومسلم .
وقد انحرف كثير من الناس عن منهج ربهم ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ : ٢٠] ولذلك يقول تعالى ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٣] وروى البخارى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عن رسول الله ﷺ قال ﴿ يقول الله تعالى : يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك فيقول : أخرج بعث النار قال وما بعث النار قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قالوا وأينا ذلك الواحد ؟ قال : أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألف ﴾ رواه البخارى فى كتاب الأنبياء باب قصة يأجوج ومأجوج . ولذلك يقول تعالى ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ [ق : ٣٠] . فالحق لا يعرف بكثرة ولا بقلة ولكن اعرف الحق تعرف اهله واعرف الباطل تعرف من آتاه واسلك طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين واياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين ﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ [الأنعام : ١١٦] . ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] .
والشيطان فى حربه وصراعه لبنى آدم لا ينام كما قال الحسن حين سأل أينام الشيطان قال لو نام لاسترحنا وإذا كنا نتغافل عن مهمتنا فان الشيطان يواصل الليل بالنهار فى سبيل انفاذ وعده وتابعه على ذلك خلق كثير أصبحوا من أوليائه بل وفاقوه في حيله كالتلميذ الذى يفوق استاذه يواصلون الليل والنهار فى المكر والكيد للإسلام والمسلمين وشنوا على هذه الأمة حرباً لا هوادة فيها واستخدموا فى هذه الحرب كل صور الأسلحة ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ

الكَافِرُونَ ﴾ [الصف : ٨] . حرب عسكرية وسياسية واقتصادية وحرب فكرية أو ما يسمى بالغزو الفكرى وهو اعنفها واطلقوا على الأمة سهاماً كثيرة بحيث من لم يصبه سهم أصابه السهم الثانى أو العاشر وكانت الديمقراطية هى احدى هذه السهام الخبيثة التى اطلقت على الأمة بالاضافة الى نِحَل وفلسفات ونظريات وركزوا فى سبيل ذلك على كل القطاعات من رجال ونساء وكبار وصغار واستخدموا كل الوسائل من اذاعة وتليفزيون ومجلات وجرائد ولم تسلم مناهج التعليم فى مختلف المراحل من هذا الدس وحشدوا من أجل ذلك جيوشاً جرارة من الساسة والزعماء والمفكرين ورجال الأدب لترويج هذه النظريات والفلسفات فى أوساط المسلمين الذين يؤمنون بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً بل وحاول اصحاب هذه المذاهب الفكرية فى فلسفة مذاهبهم وتأييدها ان يجدوا سنداً تاريخياً لها فى الوقت الذى حرصوا على تشويه تاريخ هذه الأمة الاسلامى لإبعاد المسلمين اكثر واكثر عن دينهم واتوا للأمة بحثالات البشر ووضعوهم فى مقام القدوة والقيادة وأضفوا عليهم ألقاب البطولة والزعامة نادوا بالتغريب وبأخذ كل ما عليه الغرب حتى هذه النجاسات الموجودة فى امعائهم لكى تتطور الأمة كما تطور هؤلاء ومن بين هؤلاء مصطفى كمال أتاتورك الذى وصف بالبطولة وأنه محرر الشعب التركى من سلطة السلاطين واتخذ مثلاً لكثير من الثورات فى البلاد العربية حتى ان شوقى بعد الانتصار المريب على الانجليز أنشد يقول « الله اكبر كم فى الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب » ولكن ما لبث ان ظهر على حقيقته حيث ألغى الخلافة واللغة العربية حتى فى الاذان وألغى المحاكم الشرعية وفرض العلمانية اللادينية على الشعب التركى ونزع الحجاب ثم ظهرت الوثائق التاريخية فأثبتت عمالته للإنجليز وصلته بالماسونية حتى انه عندما حضرته الوفاة استدعى السفير الانجليزى وطلب منه ان يتولى حكم تركيا من بعده فاعتذر السفير بلباقة حتى لا تتكشف العمالة ، واذا كان الصراع قديماً وعقد الاخاء وثيق بين كل قوى الكفر فلتستمع لما يقوله كاسترو (رئيس كوبا) للسفير الإسرائيلي فى بلاده « على إسرائيل ألا تترك الحركة الفدائية تتخذ طابعاً إسلامياً دينياً حتى لا يجعل من حركتهم شعلة من نار الحماس الدينى مما يجعل من المستحيل على إسرائيل ان تصون كيانها لان الفداء اذا تملكته عقيدة دينية وبخاصة فى المجتمعات الإسلامية تلاشت

امامه كل العقائد الأخرى بما فيها الماركسية » « الإسلام والحضارة الانسانية لمحمد خفاجى » والباطل صورة مكرورة فقد أرسل اللورد اللينبى الى وزارة الخارجية البريطانية وذلك بعد تحريه شهراً وكانت انجلترا قد غيرت مندوبها ابرق يقول :

١ ـــ الثورة تنبع من الأزهر وهذا امر له خطورته .

٢ ـــ أفرجوا عن سعد زغلول وارسلوه الى القاهرة . ورجع سعد زغلول ليصرف الثورة من ثورة دينية الى ثورة وطنية تنادى بتحرير التراب ويشترك فيها الجميع وقال قولته المشهورة « الدين لله والوطن للجميع » وكانت مفاوضات وتفاهات اطلق عليه اسم المكاسب الوطنية خرج بعدها سعد زغلول ليقول « خسرنا كل المعاهدة وكسبنا صداقة الانجليز » ويقول « الانجليز خصوم شرفاء معقولون » ثم يأتى بعد ذلك لطفى السيد استاذ الجيل ليقول « ان الانجليز هم اولياء امورنا فى الوقت الحاضر وليس السبيل أن نحاربهم بل السبيل ان نتعلم منهم ثم نتفاهم معهم . ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ [النور : ٤٠] . وإلا فماذا ينتظر من الذين تربوا على موائد الغرب تارة وموائد الشرق تارة اخرى ونسوا أو تناسوا دينهم في سبيل نقل بعض معالم التطور ، ولم يفرق الكثيرون بين ما يجوز نقله وبين مالا يجوز اعتباره ولا اخذه فالعلوم الدنيوية كالزراعة والصناعة والهندسة والطب تؤخذ من كل من افلح فيها بخلاف الهداية الإلهية في العقيدة والشريعة والاخلاق والحكم فهى من الإسلام وحده لا غير . وهكذا حورب الإسلام بيد ابنائه بعد ان كان يحارب بيد اعدائه ﴿ وَاللهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٢١] . وسنة التدافع المذكورة فى القرآن انما هى لخير البشرية ولتحقيق منهج العبودية لله عز وجل فى ارضه وازالة كل طاغوت يعبد من دون الله وحتى يكون الدين كله لله فلابد من شد العزائم لتحقيق المجتمع المسلم الذى ينفذ أمر الله وشرعه . وفق قاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ والصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا اَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد : ٣١] ﴿ آلم اَحَسِبَ النَّاسُ اَنْ يُتْرَكُوا اَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ٣] ﴿ كَتَبَ اللهُ لَاَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِى اِنَّ اللهَ لَقَوِىٌّ

عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة : ٢١] ﴿ هُوَ الَّذِي اَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ [الفتح : ٢٨] .

٣ ــ ميزان وضابط

لابد لنا من ميزان وضابط نزن به انفسنا قبل الناس ان وافقناه كنا على حق وان خالفناه وجب علينا أن نراجع انفسنا وفقه ونحاسبها على اساسه والمسلم دينه الإسلام وهو يجرى منه مجرى الدم من العروق ولا حياة له بدونه ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِى بِهِ فِى النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِى الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ [الأنعام : ١٢٢] ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا اِلَيكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَاِنَّكَ لَتَهْدِى اِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [الشورى : ٥٢] فلا تتصور سعادة ولا هناءة فى البعد عن دين الله ولذلك ينتقل الناس من كرب إلى شقاء ومن تعاسة الى نكد كلما ازدادوا بعداً عن منهج حياتهم وصلاحهم ﴿ فَمَن اِتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ﴾ [طه : ١٢٤] . ومن رحمة الله تعالى أن حفظ لنا الإسلام وحفظ أيضا من يقوم به ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] . بل وحفظت السنة أيضاً في دواوين الإسلام وميز لنا العلماء الاجلاء بين صحيحها وضعيفها فكان الإسلام بمثابة واقعاً تطبيقياً فقد اقام النبى ﷺ دولة بالمدينة واتسعت رقعتها بعد ذلك لتشمل ارجاء المعمورة وهذه الدولة حكمت بدين الله سياسة واقتصاداً واجتماعاً واخلاقاً وكان لها عهود وعقود ومعاملات وسياسة داخلية وخارجية وعلى ذلك درج الخلفاء من بعده وهذا الأمر لا يخفى إلا على من اعمى الله بصيرته فلم يبصر الشمس فى رابعة النهار ثم خرج يزعم بعد ذلك ويقول اين نظام الإسلام فى السياسة أو الحكم أو الاقتصاد ومثل هذا لم يرجع لكتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ وتناسى الواقع التطبيقى للإسلام فى ازهى عصوره ﴿ خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ﴾ متفق. عليه ومن طالع كتب الفقه والحديث والتفسير والسير وجد تفاصيل ذلك كله ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُنِيرٌ يَهْدِى به الله مَنِ اتَّبَعَ

رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ [المائدة : ١٥] . وما بعد النور الا الظلام والعمى والحق ابلج والباطل يحلج لجلج وعلى الحق نور وهو واحد والباطل كثير لا ينحصر والبدع كثيرة وطرق الغواية كذلك وهى عبارة عن فلسفات وتصورات ومذاهب تختلف فيما بينها وتشترك فى انها ضلال وبعد عن الحق والحقيقة وبازاء الطريق المستقيم الذى رسمه الله لعباده وامرهم بسلوكه سنجد طرقاً متعرجة متشابكة وظلام متكاثف ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] هذا الطريق المستقيم طريق طويل وممتد ابتدأه ربنا جل وعلا بآدم (أبو البشر) وكان نبياً مكلماً وسار فيه الأنبياء والصالحون وكلهم أسلم وجهه لله واستقام على دين الله وقام بواجب العبودية لله رب العالمين ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٢] . لم يعتمدوا على حولهم وقوتهم ولا على عقولهم وعلومهم وكانوا يحذرون الرأى والهوى فى دين الله فلم يبتدعوا ولم يخترعوا ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ [يونس : ١٥] . وما خلت الأرض من قائم لله بحجة ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء : ١٦٥] ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر : ٢٤] . وأتباع الحق هؤلاء قد يقلون هنا ويكثرون هناك يدعون غيرهم لطريق الأمن والإيمان حتى وان سخر بهم واستهزأ منهم ، وكما ورد (ولا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك) ، واذا كان كل نظام له عقيدة فالعقيدة ليست مختصة بالإسلام بل كل ديانة أو مذهب لابد لأصحابه من عقيدة يقيمون عليها نظام حياتهم وهذا ينطبق على الأفراد كما ينطبق على الجماعات والعقائد منذ بدء الخليقة الى اليوم والى أن يرث الله الأرض ومن عليها قسمان :

١ ـــ العقيدة الصحيحة وهى العقيدة الحقة التى جاء بها الرسل الكرام فى أى زمان ومكان وهى عقيدة واحدة لانها منزلة من العليم الخبير ولا تختلف من رسول الى رسول ومن زمان إلى زمان ولذلك يخطىء من يقول الأديان

السماوية لأن الدين واحد لا يتعدد ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران : ١٩] وهو الذى بعث به نوح وابراهيم وموسى وعيسى ورسول الله ﷺ ولكن تعددت الشرائع وشريعة الإسلام حاكمة ومهيمنة على سائر الشرائع .

٢ ــ العقائد الفاسدة وفسادها من كونها نتاج افكار البشر ومن وضع عقلائهم ومفكريهم ومهما بلغ البشر من عظم الشأن فإن علمهم يبقى محدوداً مقيداً بقيود متأثراً بما حولهم من عادات وافكار وقد يأتى فساد العقيدة من تحريفها وتغييرها وتبديلها كما هو الحال بالنسبة للعقيدة اليهودية والنصرانية فى الوقت الحاضر فانهما حرفتا منذ عهد بعيد ففسادها كان من هذا التحريف وان كانت عقيدة سليمة فى الأصل واستبدلت التوارة بالتلمود والانجيل المنزل على عيسى عليه السلام باثنى عشر انجيلاً اتفقوا على أربعة منها وطرحوا الثمانية الأخرى وكلها تحريف وتغيير ولذلك يصادم بعضها بعضاً ، فمن أراد ان يعرف العقيدة السليمة فإنه لن يجدها فى اليهودية ولا فى النصرانية ولا فى كلام الفلاسفة وانما يجدها فى الإسلام فى اصليه : الكتاب والسنة تقنع العقل بالحجة والبرهان وتملأ القلب إيماناً ويقيناً ونوراً وحياة ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] . ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك : ٢٢] .

٤ ــ بعض خصائص وسمات الإسلام :

واذا كان الإسلام هو الميزان والضابط ، وهو الحاكم وكل شيء من الأنظمة والمناهج والفلسفات محكوم عليه وهو يعلو ولا يعلى عليه وهو الصبغة التى صبغنا الله بها والدين الذى ارتضاه سبحانه للعالمين على اختلاف ألوانهم وألسنتهم فى كل زمان ومكان فلا شك أنه حوى واتسم بخصائص ومميزات تؤهله لذلك ومن اعظم هذه الصفات والخصائص : ــ

١ ـــ صفة الربانية :

فالإسلام من عند الله وهو وحيه سبحانه لنبيه ﷺ ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٤] . وجبريل هو ملك الوحى الذى كان ينزل بأمر الله على المرسلين كموسَى وعيسى ورسول الله ﷺ والقرآن الكريم بلفظه ومعناه من عند الله ونقل الينا نقلاً متواتراً حفظته السطور والصدور ان تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى ـــ والسنة المطهرة الصحيحة معناها من عند الله واللفظ لرسول الله ﷺ .

وإذا كانت النظم الوضعية مصدرها الانسان بقصوره وعجزه فالإسلام مصدره رب الإنسان وخالقه ومليكه الذى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى يقول تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى القُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل : ٦] . ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴾ [الزمر : ٢] ﴿ تَنزِيلُ الكِتَابِ لَارَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ [السجدة : ٢] . وقد أوجب ربنا علينا اتباع كتابه وسنة نبيه ﷺ ﴿ وَهٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الانعام : ١٥٥] . والنبى ﷺ صادق مصدوق ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم : ٣] . والنظم والفلسفات وان رفعت راية العدل وتحقيق المساواة وغيرها إلا انها فى الحقيقة عبارات جوفاء لا رصيد لها من الصحة فى الأعم الأغلب من الأحوال والتمييز بين الناس على اساس اللون أو الجنس ما يزال موجوداً حتى عند اكثر الدول تحضراً كما يزعمون فى القرن العشرين فمن النصوص القانونية فى بعض الولايات الامريكية « ان النكاح بين شخصين ابيض وآخر زنجى يعتبر نكاحاً باطلاً » بل يحرم القانون عندهم اى دعوة لاقرار المساواة أو الزواج بين البيض والسود اين هذا الظلم الصارخ من قول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] . وفى الحديث الشريف الذى اورده القرطبى فى تفسيره عن الطبرى باسناده عمن شهد خطبة رسول الله ﷺ بمنى فى وسط أيام التشريق وهو على بعير فقال ﴿ يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن اباكم واحد ألا لا فضل

لعربي على عجمى ولا عجمى على عربى ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على اسود إلا بالتقوى ألا هل بلغت ؟ قالوا نعم ، قال : ليبلغ الشاهد الغائب ﴾ .

وعن عائشة رضى الله عنها أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله ﷺ فقالوا من يجترىء عليه الا اسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة فقال : فقال رسول الله ﷺ ﴿ أتشفع فى حد من حدود الله تعالى ؟ ثم قام فخطب ثم قال : انما اهلك من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدود وأيم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ﴾ متفق عليه . وروى الامام البخارى فى صحيحه أن النبى ﷺ قال لأبى ذر لما قال لرجل من المسلمين يا ابن السوداء ﴿ إنك امرؤ فيك جاهلية ﴾ .

والعقيدة ولاشك هى الضمان لحسن تطبيق النظام والمؤمنون الذين يرجون ربهم ويخافون سوء الحساب ينقادون لأمر ربهم سراً وعلانية ويخافون على انفسهم من مخالفته وعصيانه ﴿ قُلْ إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأنعام : ١٥] . أما القوانين والمبادىء الوضعية التى شرعها الانسان فانها لا تظفر بهذا المقدار من الاحترام والهيبة اذ ليس لها سلطان على النفوس ولا تقوم على اساس من العقيدة الحقة والايمان الصحيح كما هو الحال بالنسبة للإسلام ولهذا فان النفوس تجرؤ على مخالفة القانون الوضعي كلما وجدت فرصة لذلك وقدرة على الافلات من ملاحقة القانون وسلطان القضاء ورأت هذهُ المخالفة موافقة لاهوائها وتحقيقاً لرغباتها . والواقع خير شاهد على ما نقول ولننظر بعد ذلك كيف اتى ماعز والغامدية لرسول الله ﷺ وأقرا على نفسيهما لاقامة الحد عليهما لمازنيا فيرجعهما النبى ﷺ مرة بعد أخرى وهما يصران على تطهير نفسيهما لاشك أن رقابة الله وخوف الله هو الذى دفعهما لذلك ولما نزل تحريم الخمر يروى انس ويقول كانت الكؤوس تدار على رأس أبى طلحة وأبى عبيدة وأبى دجانة وسهيل بن بيضاء ومعاذ بن جبل إذ سمعنا ان الخمر قد حرمت يقول فما دخل علينا داخل وما خرج منا خارج حتى كان منا من اغتسل ومنا من توضأ وأصبنا من طيب أم سليم ثم خرجنا الى المسجد وفى رواية قلنا (انتهينا ربنا

انتهينا) قالوا ذلك لما سمعوا قول ربهم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ والمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ والأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ اَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ والمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُم عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنْ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُم مُنْتَهُونَ ﴾ [المائدة : ٩٠ ـــ ٩١] . فكانت المسارعة بالتنفيذ دون تلكؤ أو تردد أو شك أو ارتياب . وقام المسلمون الى زقاق الخمر فأراقوها والى دنانه فكسروها وغرقت شوارع المدينة يومئذ بالخمر . ولما شرعت امريكا قانون تحريم الخمر سنة ١٩٣٠ وبموجبه حرم بيع الخمور وشراؤها وصنعها وتصديرها واستيرادها مهدت له بدعاية بـ (٦٥) مليون من الدولارات وكتبت تسعة آلاف مليون صفحة فى مضار الخمر ونتائجه وعواقبه وانفق ما يقرب من (١٠) عشرة ملايين دولار من أجل تنفيذ القانون وقتل فى سبيل تنفيذ هذا القانون مائتا نفس وحبس نصف مليون شخص وغرم المخالفون له غرامات بلغت ما يقرب من اربعة ملايين دولار وصودرت اموال بسبب مخالفته قدرت بألف مليون دولار ثم قاموا بإلغاء القانون فى أواخر سنة ١٩٣٣ . كان يكفيهم مع الايمان قوله سبحانه ﴿ فَهَلْ اَنْتُم مُنْتَهُونَ ﴾ [المائدة : ٩١] . ليقولوا انتهينا ربنا .

٢ ـــ الشمول :

فللإسلام حكمه فى كل قضية من قضايا الحياة سواء تعلقت بالفرد أو الجماعة ، بالمسجد أو بالسوق بالسياسة الداخلية أو الخارجية ﴿ اليَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً ﴾ ويقول تعالى ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ٣٨] . فهى على قول بعض المفسرين تتعلق بالقرآن فكل قضية لها حكمها فى كتاب الله اما اجمالاً واما تفصيلاً والافعال أو الاقوال التى تصدر عن الانسان بل الخلجات والافكار التى تدور فى النفوس أو القلوب لها حكمها فى دين الله وهى تأخذ حكماً من الاحكام الخمسة (واجب ومندوب ومباح ومكروه وحرام) والانسان الذى حمل الامانة على ظلمه وجهله اذا نصب من نفسه مشرعاً وإلهاً مع الله لابد وان تتسم تشريعاته ونظمه ومناهجه بالظلم والجهل والقصور والهوى والنقص ـــ ولذلك رأينا القوانين والنظم الوضعية تفصل فصلاً مريباً بين

القواعد الاخلاقية والقواعد القانونية فلا مكان فيها للاخلاق فى الوقت الذى امتزجت فيه الاخلاق بالاحكام الشرعية امتزاجاً كاملاً فلا ضرر ولا ضرار والمعصية لا تواجه بالمعصية والخطأ وتحرص على تقوى الله فيمن لا يتقى الله فينا وهذا الالتزام يتأكد فى احرج الظروف وادق الاوقات ولذلك لما أتى ابو جندل يستصرخ بالمسلمين يوم الحديبية وكان النبى ﷺ قد ابرم الاتفاقية أو العهد مع ابيه (سهيل بن عمرو) امره النبى ﷺ ان يرجع وقال له : ﴿ يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً واعطيناهم على ذلك عهد الله وانا لا نغدر بهم ﴾ وقال أيضاً : ﴿ انا لا يحل فى ديننا الغدر ﴾ من قصة الحديبية ــ البخارى وأحمد ــ وابن اسحاق فهذا معنى من معانى شمول الشريعة فالعهود كان يبرمها النبى ﷺ الذى اقام دولة بالمدينة وفق شرع الله وفى ذات الوقت امتزجت المعانى الاخلاقية بالوعود والعهود امتزاجاً لن تجد مثله فى السياسات الميكافيلية والغاية فيها تبرر الوسيلة كما هو معلوم بل ويقرر الفقهاء المسلمون ان الاجنبى (غير المسلم) اذا دخل اقليم الدولة الإسلامية باماان ولمدة معينة لا يجوز تسليمه الى دولته اذا طلبته خلال هذه المدة ولو على سبيل المفاداة بأسير مسلم عندها ويبقى المنع من تسليمه قائماً حتى لو هددت دولته الدولة الإسلامية باعلان الحرب عليها اذا لم تسلمها اياه وذلك لان على الدولة الإسلامية ان تفى بعهودها له فيبقى آمنا لا يمسه سوء وتسليمه بدون رضاه غدر منها بعهدها له ولا رخصة فيه بل ولا يصح بتسليمه حتى وان قتلت دولته جميع رعايا الدولة المسلمة المقيمين فى ارضها لأن فعلها ظلم ولا مقابلة بالظلم والمسلم وهو يتعامل مع الخلق لا ينسى خالقه وقد أمر ان يعطى كل ذى حق حقه ويقول الرسول ﷺ ﴿ يا عثمان إنى لم اومر بالرهبانية ارغبت عن سنتى ؟ قال لا يا رسول الله قال إن من سنتى ان اصلى وانام وأصوم وأطعم وانكح واطلق فمن رغب عن سنتى فليس منى يا عثمان إن لأهلك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ﴾ رواه الدارمي وقال الألبانى اسناده جيد ، ويعلم ان قضاء القاضى ومحكم الحاكم وفتوى المفتى لا تقلب الحلال حراماً ولا تحول المعصية إلى طاعة قال رسول الله ﷺ ﴿ انكم تختصمون إلىَّ وانما أنا بشر ولعل بعضكم ان يكون ألحن بحجته من بعض وأنما اقضى لكم على نحو مما أسمع منكم

فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار يأتى بها يوم القيامة ﴾ متفق عليه وبالتالى فلا يحل لمسلم ان يبيح لنفسه فعل الحرام أو أكله وان اباح له ذلك القضاء ولان الحاكم يحكم حسب الظاهر والله يتولى السرائر ولان مناط الثواب والعقاب فى الآخرة على حقائق الافعال ونيات الانسان وما ارتكبه من حلال أو حرام والعبرة بالمقاصد لا بالالفاظ وفى ظل الشمول سنعلم انه لا فصل بين العلم والعمل ولا بين الدين والدولة ولا بين الدنيا والآخرة ولا بين الأرض والسماء ولا بين الصلاة والسياسة ولا بين الاخلاق والحكم ولا بين الزكاة والاقتصاد ولا بين ساعة وساعة ولا بين رجل ورجل فلا يصح بعد ذلك ان نقول : دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله أو الدين لله والوطن للجميع ورجال الدين ورجال الدولة أو ساعة لربك وساعة لنفسك أو اليوم خمر وغداً أمر ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢] . وقوله تعالى ﴿ وَاَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا اَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ اَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا اَنْزَلَ اللهُ اِلَيْكَ ﴾ [المائدة : ٤٩] . لا ينفصل عن قوله تعالى ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ [النساء : ١٠٣] . وقوله سبحانه ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ، إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الخَائِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٥٨] . لا يتباعد عن قوله جل وعلا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى اَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ [المائدة : ٨] . وقوله سبحانه ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٩] . خرج من مشكاة واحدة هو وقوله سبحانه ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران : ١٩] . وتقرأ فى الأمر بالشورى ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : ٣٨] . وفى ايتاء الزكاة ﴿ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ [فصلت : ٦] اداء الامانة ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ اَنْ تُؤَدُّوا الاَمَانَاتِ اِلَى اَهْلِهَا ﴾ [النساء : ٥٨] . وفى الميراث ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ ﴾ [النساء : ١١] . وفى تحريم الربا ﴿ وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [البقرة : ٢٧٥] . وفى عقوبة السارق ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا

جزاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ ﴾ [المائدة : ٣٨] . وفى التعزيز ﴿ وَجزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ [الشورى : ٤٠] . وفى علاقة الابن بوالديه ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى الدُّنْيَا مَعْرُوفاً ﴾ [العنكبوت : ٨] . وفى علاقته بزوجته ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ ﴾ [النساء : ١٩] . شمول واضح وظاهر لكل ناحية من نواحى الحياة ولو ذهبنا نستطرد لنقلنا آيات القرآن الكريم وسنة النبى ﷺ والذى لم ينتقل الى الرفيق الاعلى إلا بعد ان اكمل له ربه الدين واتم عليه النعمة ورضى لنا الإسلام ديناً وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك وقد بين لنا واعطانا من كل شيء علماً وحتى لا نحتاج بعد ذلك لهذه الزبالات التى تفتقت عنها عقول البشر واعتبروها مناهج وفلسفات ونظريات ومن بينها الديمقراطية .

٣ ــ العموم :

فالنبى ﷺ ليس نبياً للعرب فقط وانما للبشرية كافة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ [سبأ : ٢٨] . وقال تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ [الأعراف : ١٥٨] . ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] . ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ [الفرقان : ١] . ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] . ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ص : ٨٨] . ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهِ ﴾ [البقرة : ١٩٣] . فهذه الرسالة للابيض والأصفر والاحمر والأسود ويقول النبى ﷺ ﴿ أمرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم واموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ﴾ متفق عليه ولذلك توجه الصحابة ومن بعدهم بهذه الدعوة الى رستم الفارسى وهنا وهناك. وارسل النبى ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام وقال له : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان توليت فإن عليك اثم الأريسيين

(أى الفلاحين) ويا أهل الكتاب ﴿ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ، إِلَىٰ قَوْلِهِ: فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ رواه مسلم . وكانت الفتوحات الإسلامية لاعلاء كلمة الله فى الأرض بل هذه الرسالة تعدّت الانس الى الجن ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِى إِلَىٰ الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ ﴾ [الأحقاف : ٢٩] . فالجن حين تنادت بذلك قالت انزل من بعد موسى ولم يقولوا انزل من بعد عيسى وذلك لان التوراة شريعة مستقلة مثل القرآن بعكس الانجيل فهو عبارة عن الاخلاق والآداب والاحكام التى اضيفت إلى التوارة . واصبحت مكملة لها ولذلك يسمون التوارة بالعهد القديم وعموم الشريعة الإسلامية وبقاءها وعدم قابليتها للنسخ والتبديل والتغيير بالتنقيص والزيادة . كل ذلك استلزم ان تكون قواعدها واحكامها ومبادؤها وجميع ما جاءت به على نحو يحقق مصالح الناس فى كل عصر ومكان ويفى بحاجاتهم ولا يضيق ولا يتخلف عن اى مستوى عال وصحيح يبلغه البشر بل بلوغ درجة الكمال البشرى المقدور انما يحدث بالاستقامة على دين الله لا شيء سواه والعليم الخبير هو الذى جعلها عامة فى المكان والزمان وخاتمة لجميع الشرائع ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤] . ويقول النبى ﷺ ﴿ فضلت على الانبياء بست : اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لى الغنائم وجعلت لى الأرض مسجداً وطهورا وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بى النبيون ﴾ رواه مسلم والترمذى فجاءت الاحكام والقواعد صالحة لكل زمان ومكان ومهيئة للبقاء والاستمرار تحقق مصالح العباد فى العاجل والآجل والدنيا والآخرة وتدرأ عنهم المفاسد والاضرار فى العاجل والآجل ايضاً حتى قال بعض العلماء ان الشريعة كلها مصالح اما درأ مفاسد أو جلب مصالح والمصلحة تتحقق أتم تحقيق بالرجوع لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعدم مخالفة شرع الله ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] . ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة : ١٧٩] . ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ

مُنْتَهونَ ﴾ [المائدة : ٩١] . ولذلك شرعت الرخص عند وجود المشقات كاباحة الفطر فى رمضان للمريض والمسافر والضرورات تبيح المحظورات وتقدر بقدرها كإباحة اكل الميتة لمن خاف الهلكة ولم يجد مباحاً والضرر يزال ولا ضرر ولا ضرار . وجاءت نصوص الشريعة بحفظ الضروريات الخمس وهى (الدين والنفس والعقل والنسل والمال) ولحفظ الدين شرعَ الإسلام العبادات والجهاد وعقوبة المرتد وزجر من يفسد على الناس دينهم ولحفظ النفس شرع النكاح والقصاص وتحريم إلقاء النفس فى التهلكة ولزوم دفع الضرر عنها . وشرع لحفظ العقل تحريم الخمر والمخدرات والنسل شرع الإسلام لايجاده الزواج ولحفظه عقوبة الزنى والقذف وحرمة اجهاض المرأة الحامل إذا استتم الجنين أربعة أشهر باتفاق العلماء ... ولحفظ المال شرع الإسلام لتحصيله انواع المعاملات من بيع وشراء ونحو ذلك وشرع لحفظه حرمة اكل مال الناس بالباطل أو اتلافه بلا وجه سائغ مشروع والحجر على السفيه وتحريم الربا وعقوبة السرقة . كما وردت النصوص ايضا بتحصيل حاجيات الانسان (كالطلاق اذا لم تعد الحياة الزوجية تطاق) والتحسينيات (كالطهارة للبدن والثوب وستر العورة والنهى عن بيع الانسان على بيع اخيه والنهى عن قتل النساء والأطفال فى الحروب) . يقول ابن القيم عن شريعة الله إن : « مبناها وأساسها على الحِكَم ومصالح العباد فى المعاش والمعاد وهى عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها فكل مسألة خرجت من العدل الى الجور ومن الرحمة الى ضدها وعن المصلحة الى المفسدة وعن الحكمة الى العبث فليست من الشريعة وان أدخلت فيها بالتأويل فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه » ا. هـ. ولا يمكن ان نغلق باب الاجتهاد أمام من تمهدت له أسبابه وحصل أدوات الاجتهاد والنظر فى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والشريعة بما حوت من مبادىء (كالشورى والمساواة والعدل وازالة الضرر) واحكام تفصيلية فى كل ناحية من نواحى الحياة لا يمكن ان تضيق بحاجات الناس المشروعة ولا تعجز عن تحقيق مصالحهم الحقيقية فى اى زمان ومكان ـــ ومصادر الشريعة سواء أكانت أصلية وهى الكتاب والسنة أو المصادر التبعية كالإجماع والقياس وغيرها ولله الحمد جاءت فى غاية القدرة والاستعداد للبقاء والعموم بحيث لا يحدث شىء جديد إلا وللشريعة حكم فيه بالنص الصريح أو بالاجتهاد الصحيح وبالتالى لا تضيق الشريعة

بالوقائع الجديدة والحوادث المستجدة والصحابة رضوان الله عليهم كانوا اذا لم يجدوا نصاً قاسوا الاشباه بالأشباه والنظائر بالنظائر .

٤ ــ الجــزاء :

وخاصية الجزاء تختلف كثيراً عن عقيدة الفداء والخطيئة وصناديق الغفران عند النصارى فمن اذنب فعليه ان يبادر بالتوبة وتأخير التوبة ذنب يجب التوبة منه ويشرع الستر على الانسان اذا لم يكن مشهوراً بارتكاب الفواحش « من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فإن من ابدى لنا صفحته أقمنا عليه كتاب الله . وفى رواية ابى داود يقول النبى ﷺ لهزال (وهو الذى أتى بماعز الأسلمى لرسول الله ﷺ لما زنى) « لوسترته بثوبك لكان خيراً » ويقول تعالى ﴿ اِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِى الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى الدُّنْيَا والآخِرَةِ ﴾ [النور : ١٩] . ولا يجب على الانسان ان يذهب الى الحاكم لاقامة الحد عليه اذا زنى مثلاً لان النبى ﷺ أرجع ماعزاً والغامدية مرة بعد أخرى وفى الحديث ﴿ عن عبادة بن الصامت : بايعنا رسول الله ليلة العقبة الأولى « ان لانشرك بالله شيئاً ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين ايدينا وارجلنا ولا نعصيه فى معروف ــ قال : فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة له وان سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر ﴾ رواه البخارى ومسلم . والتوبة تمحو كل ذنب كفراً كان أو دونه ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال : ٣٨] . ﴿ نَبِّىءْ عِبَادِى اَنِّى اَنَا الغُفُورُ الرَّحِيمُ وَاَنَّ عَذَابِى هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ ﴾ [الحجر : ٤٩] . ونحن لا نفرح بكثرة عدد المحدودين أو المرجومين ولا يصح أن نأخذ الناس بالشبهات فالحدود تدرأ بالشبهات وروى ابن حزم بسند صحيح ان عبد الرحمن بن حاطب كانت له نوبية صامت وصلت وهى اعجمية لا تفقه وكانت ثيباً فحملت فأرسل اليها عمر بن الخطاب فسألها : أحبلت ؟ قالت نعم من مرعوش بدرهمين فاستشار عثمان عن عفان وعلى بن ابى طالب وعبد الرحمن بن عوف فقال على وعبد الرحمن وقع عليها الحد اى الرجم فقال عثمان أراها تستهل به كأنها لا تعلمه وليس الحد الا على من علمه فقال لعثمان صدقت والذى نفسى بيده

ما الحد إلا على من علمه ثم امر بجلدها مائة وتغريبها عاماً تأديباً لها لتهاونها فى السؤال عن الحرام والحلال فى امر دينها . وورد فى صحيح البخارى ان امرأة بالمدينة كانت تظهر فى الإسلام السوء وفى رواية أخرى « كانت اعلنت فى الإسلام » وفى رواية لابن ماجة « فقد ظهر منها الريبة فى منطقها وهيئتها ومن يدخل عليها » ولكن لما كانت جريمتها بدون بينة قاطعة ما أقيم عليها الحد مع أن النبى ﷺ قال عنها مرة « لو كنت راجماً بغير بينة لرجمتها » . ومن عجيب الأمر ان قطاعاً من الناس اذا ذكر الإسلام أو الشريعة الإسلامية لم يتبادر لذهنه من هذه الكلمة إلا الحدود كقطع يد السارق أو رجم الزانى المحصن وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى الغربة التى وصل إليها الحال ومدى الضياع الذى وصلت اليه الأمة لما تباعدت عن كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ ، غفلة عن شمول الإسلام لجميع نواحى الحياة وتنظيمه لها بل وغفلة ايضاً عن معنى الجزاء فى الإسلام والأصل في الجزاء أنه عقاب أخروى ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ ﴾ [آل عمران : ٣٠] . ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾ [الزلزلة : ٨] . وهذا من اعظم الزواجر للنفوس المؤمنة عن المخالفة والعصيان وربنا جل وعلا احق ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر . والجزاء الأخروي لا يمنع الجزاء الذى يوقعه الحاكم على المخالف لاحكام الإسلام . والجزاء فى الدنيا أيضاً لا يمنع الجزاء فى الآخرة عن المخالف العاصى إلا اذا اقترنت معصيته بالتوبة النصوح فلا إصرار على الذنب بل يندم على ما مضى ويعزم على عدم العودة فيه مرة ثانية وقيل ان يندم بالقلب ويستغفر باللسان ويقلع بالجوارح ـــ والمؤمن يعلم انه لو افلت اليوم من الجزاء الدنيوى فلن يفلت غداً من الله فهو مالك الدنيا والآخرة والخلق خلقه والعبد عبده والأمر امره وليس يخرج من سلطانه الى سلطان غيره ولا من ملكه الى ملك غيره ولهذا يذهب هو بنفسه لاقامة الحد عليه ولإستيفاء الحق منه ففى رواية لعمران بن حصين فى صحيح مسلم ان النبى ﷺ لما أراد الصلاة على الغامدية قال له عمر يا رسول الله اتصلى على هذه الزانية ؟ قال : ﴿ لقد تابت توبة لو قسمت بين أهل المدينة لوسعتهم ﴾ وفى رواية بريدة فى صحيح مسلم ان النبى ﷺ امر برجم الغامدية فرجموها فأقبل خالد ابن

الوليد بحجر فرمى رأسها فنضح الدم على وجه خالد فسبها فقال النبى ﷺ ﴿ مهلاً يا خالد فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ﴾ ثم أمر بها وصلى عليها ودفنت . ونطاق الجزاء فى الاسلام واسع وشامل شمول الإسلام لجميع شئون الحياة ومن ثم تعلق الجزاء في الإسلام بمسائل العقيدة والاخلاق والعبادات والمعاملات فكل مخالفة لهذه الأمور لها جزاؤها فى الآخرة وقد يكون لها جزاء فى الدنيا ايضا . ومجتمع يطبق فيه حكم الله على الغنى والفقير والرئيس والمرءوس لابد وان يسعد فى الدنيا قبل الآخرة .

٥ ــ الإسلام دين الواقعية كما انه دين المثالية :

وهذه السمة الواضحة لا تنفصل عن اخواتها من صفات هذا الدين الذى امتن علينا ربنا به وشرفنا بالانتساب اليه وان نكون تحت لوائه بما فيه من عدل واعتدال وتوازن واتزان حتى وان رماه الملاحدة بالتخلف والرجعية والجمود ونسبوا لانفسهم حين نادوا بالديمقراطية وغيرها من الفلسفات والمناهج انهم اصحاب دعوات تطورية وتحضرية وتقدمية وانهم يريدون ان يعيشوا حضارة القرن العشرين ــ ونحن بشر ولسنا ملائكة أولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع نصيب ونخطىء فان وافقنا الحق فذلك فضل من الله وان خالفناه فمن انفسنا ومن الشيطان والله منه برىء . ورب العزة جل وعلا لا يكلف نفساً إلا وسعها ولا يكلف عباده مالا يطيقون فالواجبات تسقط بالعذر والعجز وعدم الاستطاعة ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] . فالإسلام لا يغفل طبيعة الانسان وتفاوت الناس فى مدى استعدادهم لبلوغ المستوى الرفيع الذى يرسمه لهم ولذلك فالطاعات تتفاوت من واجبات الى مستحبات والمعاصى تتفاوت كذلك من اكبر الكبائر الى الكبائر الى الصغائر والتقوى لها أصل واساس وهى ان يفعل العبد الواجبات وينتهى عن المحرمات فاذا فعل المستحبات وترك المكروهات فقد تمت تقواه لله عز وجل ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ [فاطر : ٣٢] . والظالم لنفسه هو الذى غلبت سيئاته على حسناته وهذا قد يدخل النار ثم إذا دخلها فلا يدخلها دخول الكفار ولا يعذب فيها عذاب

الكفار ولا يخلد فيها خلود الكفار ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالمجْرِمِينَ مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم : ٣٥] . والمقتصد هو الذى تساوت حسناته مع سيئاته وهؤلاء يوقف بهم بين الجنة والنار ما شاء الله ان يوقف بهم ثم يؤمرون فيدخلون الجنة والسابق بالخيرات هو الذى غلبت حسناته على سيئاته وهؤلاء يدخلون الجنة لأول وهلة . فالعباد يتفاوتون تفاوتاً عظيماً فى الدنيا والآخرة — وعن ابى مالك الأشعرى ان رسول الله ﷺ قال : ﴿ أيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أن لله عباداًليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداد على منازلهم وقربهم من الله ﴾ رواه أحمد وهو حسن وأخرجه الحاكم من حديث بن عمر وقال صحيح الاسناد ووافقه الذهبى قال الألبانى وهو كما قال . وكما قالوا حسنات الابرار سيئات المقربين وقد ذكر ربنا جل وعلا أصناف الناس فى اكثر من موضع من كتابه منها سورة الواقعة وسورة المطففين — والأولياء يتفاوتون أيضاً فى درجات الولاية بحسب ايمانهم وتقواهم ﴿ أَلَا اِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٦٢] . والإيمان يتضمن الإسلام ويزيد عليه والاحسان يتضمن الإيمان ويزيد عليه ولذلك يقول تعالى ﴿ قَالَتِ الاعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٤] . وهؤلاء كان معهم اصل الإيمان الذى منعهم من الدخول فى عداد المنافقين ولم يكن معهم الإيمان الكامل الذى يستحقون به الدخول فى هذا المعنى ﴿ اِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُلِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللهِ ﴾ والعبد الذى يتابع الفرائض بالنوافل يصل الى درجة المحبة كما فى حديث الولى ﴿ وما تقرب الىّ عبدى بشىء احب الىّ مما افترضته عليه ولا يزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى احبه ﴾ متفق عليه والرجل عندما اتى النبى ﷺ يسأله عن الإسلام فبين له الرسول ﷺ اركان الإسلام فانطلق الرجل وهو يقول والله لا أزيد على ذلك ولا انقص منه شيئاً فقال رسول الله ﷺ ﴿ افلح ان صدق ﴾ [متفق عليه] والمستوى الارفع والاعلى حببت الشريعة الى الناس بلوغه ولكن لم توجبه عليهم والزامهم جميعاً به فى كل وقت فيه حرج والحرج فى الشريعة مرفوع وهذا من واقعية الإسلام وهذا المستوى العالى يشمل المستحبات والمندوبات وترك المكروهات فالصلاة والصيام والزكاة والحج منها ما هو واجب ومنها ما هو مستحب

ونافلة كصلاة الظهر والنوافل قبلها وبعدها وصيام رمضان الواجب ثم صيام الاثنين والخميس مثلاً مستحب . وفى الاعتداء تجوز المعاقبة بالمثل والعفو والصبر افضل ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ [النحل : ١٢٦] . والكلام بالباطل حرام يجب تركه وهذا من معانى المستوى الادنى ثم الثرثرة وكثرة الكلام بما لا يفيد ولا ينفع مكروه وان لم يكن فيه باطل لما ورد فى الحديث ﴿ اتق الله حيثما كنت ﴾ رواه أحمد والترمذى وحسنه الحاكم .

• عن المغيرة بن شعبه رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : ﴿ ان الله حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعاً وهات ووأد البنات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ﴾ متفق عليه . فالكلام الكثير بما لا ينفع مكروه وتركه افضل وهذا من معانى المستوى الاعلى . وقد رخص الإسلام فى النطق بكلمة الكفر حال الاكراه بالتهديد بالقتل مثلاً الا ان العزيمة فى مواطن اظهار الدين افضل ومن واقعية الإسلام ايجاد المخارج فى اوقات الشدة والضيق أو فى أحوال الاضطرار كالفطر فى رمضان للمريض والمسافر وإباحة الصلاة للمريض وهو قاعد أو نائم ﴿ صلّ قائماً فان لم تستطع فقاعداً فان لم تستطع فعلى جنب ﴾ رواه البخارى يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] . وعن عائشة رضى الله عنها قالت ﴿ ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثماً فإن كان اثماً كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه فى شىء قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى ﴾ متفق عليه . وقد نهى الإسلام عن الافراط والتفريط والغلو والجفو والاسراف والتقصير وخير الأمور الوسط . فلا رهبانية فى الإسلام وتعذيب الجسد وتحميله مالا يطيق ليس من مناهج الإسلام فلذلك لما سأل الثلاثة عن عبادة رسول الله ﷺ فلما علموها وكأنهم تقالوها فقال الأول اما أنا فأصوم ولا افطر وقال الثانى وأما انا فأقوم ولا انام وقال الثالث وأما أنا فلا اتزوج النساء فلما علم النبى ﷺ بذلك قال : ﴿ اما والله انى لأتقاكم لله وأكثركم له خشية اقوم وانام واصوم وافطر واتزوج النساء وهذه سنتى ومن رغب عن سنتى فليس منى ﴾ [متفق عليه] اى ليس على

هدىي أو طريقتى المحمودة ، وليس له ايضا ان يعيش حياة البهائم السائمة فيتلذذ بالحرام ولا يلتفت لدين بل الواجب ان تحل ما أحل الله وان تحرم ما حرم الله وان تعظم حرمات الله ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج : ٣٢] . ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ﴾ [هود : ١٢] وان نعيش حياة الاعتدال وقد قال النبى ﷺ لعبد الله بن عمرو ﴿ الم أخبر انك تصوم النهار وتقوم الليل وقلت بلى يا رسول الله قال فلا تفعل صم وافطر ونم وقم فان لجسدك عليك حقا وان لعينيك عليك حقا وان لزوجك عليك حقا وان لزورك (أى لمن يزورك من الأصدقاء) عليك حقاً ﴾ رواه البخارى و مسلم . فيجب أن نحرص على شمول النظرة ونتأسى فى ذلك بخير القرون فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم عند الصلاة يصلون فى المسجد ويحرصون على ادراك تكبيرة الاحرام مع الامام وفى حلقات العلم يجلسون معلمين ومتعلمين وعند الجهاد يقاتلون وعند الشدائد والمصائب يواسون ويساعدون وهكذا كان شأنهم فى جميع الاحوال فالخير كل الخير فى الرجوع لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً ﴾ [الأحزاب : ٢١] ونحن فى هذا المنهج لا نحتقر طاعة ولا نستهين بمعصية وان دقت ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ [البقرة : ٢٠٨] . ومعظم النار من مستصغر الشر وفى الحديث ﴿ اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن ﴾ رواه الترمذي وحسنه الحاكم .

الديمقراطيـــــة

معناها ــ نشأتها ــ مبادئها .

الديمقراطية معناها الحرفى (حكم الشعب) أو حكم الشعب نفسه بنفسه لنفسه ، فالسلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية منبثقة من الشعب وتحكم ايضاً باسم الشعب ، والشعب باختياره الحر يقوم بتنصيب حكامه ، فالشورى وانتخاب الحاكم ومناقشة رئيس الدولة هذه هى الديمقراطية وهى تستلزم وتتضمن اعطاء الحريات للناس مثل :

١ ــ حرية العقيدة

٢ ــ حرية الرأى

٣ ــ حرية التملك

٤ ــ الحرية الشخصية .

والديمقراطية نظام مأخوذ من النظام اليونانى القديم وقد ارتبطت الديمقراطية بمبدأ سياسى واقتصادى وهو الليبرالية والرأسمالية .

تعريفات لابد منها :

١ ــ الليبرالية (معناها الحرفى ــ الفكر الحر) وتقوم على العلمانية (أى اللادينية وليست مأخوذة من العلم) التى تفصل الدين عن الدولة فالدين لله والوطن للجميع وتدعو لحرية المرأة والتبرج والاختلاط وان يكون الاقتصاد رأسمالياً وان تكون النزعة قومية عنصرية والغرب يدين بهذا المنهج وقد قامت أحزاب على أساسه كحزب الوفد .

٢ ــ الرأسمالية نظام اقتصادى غربى وله عقيدته التى تقوم على العلمانية (اللادينية) ــ وكل نظام له عقيدة ــ وهذا النظام يطلق عليه البعض احياناً اسم نظام امبريالى (أى استعمارى) وأصحاب رؤوس الأموال يطلق عليهم اسم الطبقة البرجوازية .

٣ ــ الرأسمالية والاشتراكية وجهان لعملة واحدة وكلاهما وليدة اليهودية العالمية وكل نظام يسعى لحمل الآخر إذ سقط وفشل وفق سياسات محسوبة ، والبروليتاريا (هى الطبقة الكادحة من العمال والفلاحين) وهى التى يقولون عنها انها تناضل من اجل انتزاع حقها من البرجوازية والامبريالية .

وتحذيرٌ أيضاً لابد منه :

فقد وفدت علينا ألفاظ ومصطلحات كثيرة مستوردة مع الغزو الفكرى واختفت كذلك كثير من المصطلحات الإسلامية وتكلم بهذه الكلمات الوافدة كالليبرالية وغيرها احياناً من لا يتهم فى دين ولا صدق نية كانوا ضحايا الفكر العلمانى الوافد بل ولم يسلم حتى أصحاب المدرسة العقلانية كمحمد عبده وغيره من هذه الهجمة الشرسة فالواجب علينا تحرى استعمال المصطلحات الإسلامية وان نزن كل كلمة بالميزان الشرعى هذا اذا أردنا إقامة البشرية على المنهج الربانى لا إقامة خليط من هذه المناهج والمفاهيم المتضادة وأن نعلم انه لا إلتقاء بين الحق والباطل ولا بين الهدى والضلال ولا بين الإسلام والكفر وأن الكفر ملة واحدة سواء كانوا نصارى أو يهوداً أو مشركين وثنيين أو شيوعيين وأنه لابد من البراءة من الشرك والمشركين وإقامة الحنيفية السمحة ملة الإسلام الذى ارتضاه ربنا للعالمين .

لا مشاحة فى الاصطلاح : هذا اذا كان الاصطلاح لا يصادم ما جاء فى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ولكل اصطلاح معنى متفق عليه عند أهله فإذا كان الاصطلاح يخالف معناه ما فى الإسلام من معان فلا يجوز ذكره على سبيل الدعوة إليه وان قيد بوصف إسلامى له كما يحلو للبعض ان يصنع فيضيف الإسلام للفن أو الاشتراكية أو الديمقراطية على سبيل الترويج لهذه البضائع الفاسدة وإلا فما علاقة الإسلام بالاشتراكية الشيوعية وما علاقة الإسلام بهذا الفن الرخيص من عرى وخلاعة ورقص وغناء وفحش وتفحش فالواجب على كل مسلم ان يتقى الله فى أقواله وأفعاله ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٨] . وقد حذرنا رب العزة جل وعلا من النطق بكلمة راعنا لأن اليهود كانوا ينطقون بها وكانت فيهم قبيحة فقد كانوا يقصدون بها التنقص من شخص رسول الله ﷺ فقال سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وأَسْمَعُوا ﴾ [البقرة : ١٠٤] . على الرغم من أن المسلم لا يمكن أن يكون مقصوده كمقصود اليهود وبالرغم من هذا كان التحذير والنهى « ومن تشبه بقوم فهو منهم » ولا بد من صحة العمل بالإضافة لإخلاص النية واللغة العربية هى لغة القرآن والقرآن ﴿ نَزَلَ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٥] .
فلا داعى لترويج كلمات وافدة مستوردة لا ندرى ما معناها ولا ما يراد من ورائها — وترديد كلمات كالديمقراطية فيه ترويض للعقول بقبول الديمقراطية بمعناها الحقيقى وقد أمرنا بمخالفة أهل الباطل والإبتعاد عن آرائهم الزائفة — يقول الأستاذ محمد قطب فى كتاب واقعنا المعاصر ص ٣١٤ أثناء حديثه عن سعد زغلول « هنا ينبغى ان ترجع إلى لطفى السيد » والى « نازلى هانم » وإلى أثر « الصالون » بعامة فى قلب الرجل الأزهرى دارس الشريعة الإسلامية والدين الإسلامى (يقصد بذلك سعد زغلول) فإن كرومر لم يضعه فى وزارة المعارف إلا بعد أن اطمأن الى تهذيبه فى الصالون . هذه واحدة . ثم كان سعد هو الوكيل المنتخب لمجلس شورى القوانين بحكم « شعبيته » الذائعة الصيت وينبغى ان نعرف أولاً ما هو مجلس شورى القوانين إنه فى ظاهره مجلس نيابى لتعويد الشعب ان يحكم نفسه بنفسه وما كان الانجليز حريصين قط — فى أى بلد احتلوه — على أن يردوا السلطة للشعب الذى اغتصبوا حريته وأخضعوه لهم بالحديد والنار . إنما كان الهدف الحقيقى من هذا المجلس هو اصدار قوانين تحكم البلاد بدلاً من الشريعة الإسلامية وما كان الاستعمار الصليبى — فى مصر خاصة — يرغب ان يستقل بسلطة إصدار القوانين المعارضة للشريعة الإسلامية ، رغم ما له من سلطان كما صنع فى الهند مثلاً لأن مصر بلد الأزهر وبلد علماء الدين لعدة قرون ومن الخير له حسب أسلوبه الذى اتبعه فى مصر ، الاسلوب البطىء الأكيد المفعول أن تكون هناك سلطة « شعبية » هى التى تعطى الشرعية لهذه القوانين فيكون الشعب هو الذى يصدر القوانين المخالفة للشريعة بمعرفته وبرغبته وتكون سياسة الاستعمار هى التظاهر بالغضب والإستياء من أن الشعب يريد أن يفرض إرادته على المستعمرين وفى وسط اللعبة تمر القوانين المطلوبة كأنها كسب للشعب جاء رغم إرادة الاستعمار وكان للمجلس وكيلان ، أحدهما معين والآخر منتخب وكان الوكيل المنتخب هو سعد زغلول فقد كان له فى ذلك الوقت من

الشهرة الشعبية ما يجعله ينتخب بسهولة فى ذلك المكان . نعم كان هو الممثل الشعبى الذى يعبر ــ بمنصبه هذا ــ عن كون الشعب ممثلاً فى المجلس ولكن اى شعب كان يمثله سعد وهو يصوغ القوانين المعارضة للشريعة الإسلامية ويمنحها الشرعية . هل هو شعب مصر المسلم الذى ينبغى بمقتضى إسلامه ــ أن يتحاكم إلى شريعة الله ويرفض التحاكم الى كل شريعة غير شريعة الله ــ وبصرف النظر عن حال الشعب يومئذ ــ من إقبال على الإسلام أو إدبار أو إهمال لهذه القضية بالكلية فإن سعداً ليس فرداً عادياً من الشعب بل هو قائد وزعيم والقيادة معناها توجيه الأمة الى ما ينبغى ان تتجه اليه وإيقاظها له ان كانت غافلة عنه وتجنيدها له بكل طاقتها حتى تصل الى تحقيقه ــ وسعد بثقافته ــ ليس بعيداً عن مجال الشريعة بل هى مجال دراسته فى الأزهر فأين ذهبت حساسيته للإسلام حتى صار موضع فخره انه الوكيل المنتخب للمجلس الذى يصوغ القوانين الوضعية لتحكم الناس بدلاً من الشريعة الإسلامية ا. هـ. تفصيل بعد إجمال ، وشبهات وردود :

الديمقراطية العلمانية اللادينيـــة
ومبدأ فصـل الدين عن الدولة

الفارق كبير بين الإسلام والديمقراطية أو العلمانية يظهر ذلك فى المنشأ والطريق والغاية ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك : ٢٢] . والبصيرة تقتضى منا أن نستصحب هذه الموازين والضوابط التى تكلمنا عنها فى حكمنا على الديمقراطية وما تنطوى عليه من مبادىء وللإسلام حكمه فى كل شيء وهو يعلوا ولا يعلى عليه بما فيه من سمات الربانية والعموم والشمول وغيرها ومن لدن آدم حتى قيام الساعة لا يمكن أن تسعد البشرية بدونه وبحسب أنحرافها عن منهج الإسلام بحسب الضنك والشقاء الذى تعانية ولو جاز لنا ان نلتمس عذراً للغرب أو الشرق فى تباعده عن دين الله ومناداته بهذه المناهج والفلسفات فإننا لا نجد عذراً لهذه الأمة فى الانسلاخ عن دينها ومتابعتها للكفرة والملاحدة فى فصل الدين عن الدولة وإسلامها يناديها من يوم بدر وأحد ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] . ومعلوم للقاصى وللدانى أن النبى ﷺ أقام دولة بالمدينة وأتسعت رقعتها فى عهده وعهد الخلفاء من بعده وكان يحكم بالإسلام لا بشيء سواه فى نواحى الحياة المختلفة يقول النبى ﷺ ﴿ تكون النبوة فيكم ما شاء الله ان تكون ثم يرفعها الله إذا شاء ان يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله ان تكون ثم يرفعها اذا شاء ان يرفعها ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت ﴾ رواه احمد والطبرانى والبزار (انظر السلسلة الصحيحة للألبانى) واذا كانت معانى الخيرية قد قلّت فى الأمة جيلاً بعد جيل إلا أن حكام المسلمين كانوا يحرصون على الحكم بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ وإن وجدت أخطاء فى التطبيق وظلم وجهل فى بعض الاحيان فالعيب فينا وليس فى شرع الله عز وجل وعلى العباد جميعاً

أن يستقيموا على أمر ربهم إن أرادوا سعادة وفلاحاً فى الدنيا والآخرة وقد استخدم أعداء الإسلام عيوب المسلمين وأخطائهم فى التشهير بالإسلام ذاته والتنفير منه حتى يتيسر لهم إقصاءه عن الدنيا وحكمها وكأن علاج المريض هو البتر والإهلاك ولا سبيل لإصلاح العوج والخلل صنعوا ذلك مع الخلافة العثمانية والعباسية والأموية بل وأمتدت ايديهم إلى تزييف وتشويه وتدليس صور الصحابة الكرام الذين نقلوا لنا الإسلام فدرسوا لنا قصة الخلاف بين على ومعاوية وكذبوا على صحابة النبى ﷺ حين صوروهم على أنهم طالبو ملك ورئاسة يتنازعون على ذلك ويحتال بعضهم على البعض الآخر وانحصر تاريخ الأمة بعد ذلك فى قصة هارون الرشيد والخلافة العباسية ــ خلافة الفسق والمجون ــ كما ذكروا ــ والخلافة العثمانية التى هى خلافة الجهل والفقر والمرض !! وأصبح لزاماً على أبناء الأمة المسلمة أن يتطلعوا لتاريخ الشرق والعرب المجيد وإلى عظمة الرجل الأبيض وحضارته ولكى يتم لهم التقدم والتطور فعليهم أن يقلدوا الغرب ولا سبيل لذلك إلا بفصل الدين عن الدولة فيقبع الإسلام داخل المساجد بمن يسمون رجال الدين وتحكم الدولة بعد ذلك بمن يسمون رجال الدولة « دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله » أو الدين لله والوطن للجميع . ثم إذا طالب الناس بالعودة والرجوع لدين الله قالوا لهم هل تريدون منا ان نعود لعهد هارون الرشيد أو عهود الديكتاتورية والرجعية والتخلف واصبحت الديمقراطية هى الحل البديل والعلمانية اللادينية هى سبيل الإصلاح عند قوم قد ضلوا وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل .

- **العلمانية والعلمانيون فى العالم العربى والإسلامى :**

أصبحت الآن العلمانية هى اللافتة المرفوعة على انظمة الحكم فى معظم بلدان العالم الغربى والإسلامى وأصبح يروج لها بكل وسائل الإعلام ويدعو ويبشر بها كتاب وساسة ومفكرون وتقوم على أساسها أحزاب تحمل مبادئها ومن دعاتها (أحمد لطفى السيد ــ إسماعيل مظهر ــ قاسم أمين ــ طه حسين ــ عبد العزيز فهمى ــ ميشيل عفلق ــ أنطون سعادة ــ سوكارنو ــ سوهارتو ــ نهرو ــ مصطفى كمال أتاتورك ــ جمال عبد الناصر وغير هؤلاء كثير ممن لا يزالون احياءً ينفثون سمومهم فى

جسم هذه الأمة . يقول لطفى الخولى (أحد دعاة العلمانية المعاصرين) فى ندوة مناقشة ما يسمى بالتطرف الدينى وكان العلمانيون قد تجاذبوا أطراف الحديث وأدلى كل منهم بدلوه حتى وصل الكلام اليه يقول « مناقشاتنا وصلت إلى نوع من الإلتقاء على حل ايجابى هجومى يمكن أن نصوغه فى أنه لابد أن تقام جبهة فكرية سياسية فى العمل السياسى تتبنى مشروع التقدم أو النهضة أى فى إقامة الجبهة الوطنية التقدمية من خلال حركة ديمقراطية تعتمد الديمقراطية فى التغيير » . وقد بدأت العلمانية فى أوربا وصار لها وجود سياسى مع ميلاد الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ م وقد عمت أوربا فى القرن التاسع عشر وانتقلت لتشمل معظم دول العالم فى السياسة والحكم فى القرن العشرين بتأثير الاستعمار والتنصير الذى يطلق عليه اسم التبشير ــ وفى مصر أدخل الخديوى إسماعيل القانون الفرنسى سنة ١٨٨٣ م وكان هذا الخديوى مفتوناً بالغرب وكان أمله أن يجعل من مصر قطعة من أوربا .

- **الجذور الفكرية والعقائدية للعلمانية اللادينية :**

١ ــ العداء المطلق للكنيسة بصفة خاصة وللدين بصفة عامة أياً كان سواء وقف إلى جانب العلم أو عاداه ومعلوم أن العلمانية ولدت فى أوربا اثر الصراع بين العلم المادى التجريبى والكنيسة بخرافاتها وخزعبلاتها وفسادها باسم الكهنوت وبيع صكوك الغفران وتحريقها لكثير من علماء المادة الذين خالفوها ترتب على ذلك انهزام الكنيسة فى النهاية امام العلم المادى التجريبى وظهرت المقولة بفصل الدين عن الدولة ومقولة « دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله » .

٢ ــ لليهود دور بارز فى ترسيخ العلمانية وإبراز العلمانية حتى يتيسر لهم السيطرة على أمم الأرض بعد تكسير حاجز الدين فى نفوس العباد ومعلوم ان اليهود يسعون من أجل إقامة دولة اليهود العالمية . عاصمتها القدس ــ ولذلك ولّدوا الثورات كثورة فرنسا بمبادئها التحررية وصدروا هذه المبادىء الخربة للعميان وأستخدموا فى ذلك اذناباً لهم . ومازالوا حتى هذه اللحظة يعممون نظرية العداء بين العلم فى جهة والدين من جهة أخرى على الرغم من أن الإسلام لم يقف ضد العلم والأخذ بأسباب التحضر والتقدم كما وقفت الكنيسة ويكفينا

قول الله تعالى ﴿ وأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال : ٦٠] . وقول النبى ﷺ ﴿ المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ﴾ رواه مسلم ، ﴿ وإِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِ لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء : ٩] . وذلك فى كل ناحية من نواحى الحياة وقد أطلق بصر العباد والتدبر والتفكر فى ملكوت السموات والأرض ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ لَآياتٍ لِأُولِى الأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران : ١٩٠] . وختمت آيات كثيرة بقوله تعالى ﴿ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ــ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ والإعجاز العلمى بالقرآن أظهر من أن يجحده أحد وما من حقيقة تثبت فى الكون ويتعرف عليها الخلق إلا وهى موافقة للسنن الشرعية وإن كان القرآن ليس كتاباً للفلك أو الأحياء إنما كتاب هداية ورشاد و العلوم النافعة تؤخذ من كل من أفلح فيها كائناً من كان والواجب على الأمة أن تسعى لإقامة حضارة على منهج العبودية لله جل وعلا والتسليم لحكمه سبحانه لاحضارات القلق هذه الزائفة التى قامت على أساس الكفر العلمانى اللادينى والتى أوشكت بل أعلنت إفلاسها ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ، فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٤٥] .

- **الأفكار والمعتقدات العُلمانية :**

١ ــ بعض العلمانيين ينكرون وجود الله أصلاً ــ وبعضهم يؤمنون بوجود الله لكنهم يعتقدون بعدم وجود أية علاقة بين منهج الله وبين حياة الإنسان .

٢ ــ الحياة تقوم عندهم على أساس العلم المطلق وتحت سلطان العقل والتجريب .

٣ ــ إقامة حاجز كثيف بين الروح والمادة والأخلاق أو القيم الروحية كما يسمونها هى قيم سلبية .

٤ ــ فصل الدين عن السياسة وإقامة الحياة على أساس مادى .

٥ ــ اعتماد مبدأ المكيافلية فى فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق فالغاية عندهم تبرر الوسيلة .

٦ ــ نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية وتهديم كيان الأسرة بإعتبارها النواة الأولى ــ وفى بلدان العالم العربى والإسلامى ركزوا فى هجومهم وتزييفهم على عدة معان منها :

١ ــ الطعن فى حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة .

٢ ــ الزعم بان الإسلام قد استنفذ أغراضه وهو عبارة عن طقوس وشعائر روحية .

٣ ــ الزعم بأن الإسلام لا يتلاءم مع الحضارة ويدعُو إلى التخلف .

٤ ــ الدعوة الى تحرير المرأة وفق الإسلوب الغربى .

٥ ــ تشويه الحضارة الإسلامية .

٦ ــ تضخيم حجم الحركات الهدامة فى التاريخ الإسلامى والزعم بأنها حركات إصلاح كالمعتزلة والخوارج .

٧ ــ إحياء الحضارات القديمة كالفرعونية فى مصر والبابلية فى العراق والأشورية فى الشام والاهتمام بالحفريات القديمة .

٨ ــ اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية من الغرب ومحاكاته فيها وإرسال البعثات إلى الخارج دون أسس أو حصانة شرعية ثم يعودون صرعى الفكر العلمانى ليقودوا الأمة قيادة لا دينية فى الوقت الذى حصلوا فيه على أعلى الشهادات العلمية .

٩ ــ تربية الأجيال تربية لا دينية وذلك حتى تتخرج أجيال يقودون البلاد والعباد قيادة علمانية بعد ذلك ولذلك اصبحت المدارس إما مدارس علمانية وإما مدارس تبشيرية (أى تنصيرية) ــ وقد رفض الشيوعيون كل العلوم الغربية واستبعدوها بوصفها علوماً برجوازية كما يقولون وشعروا بحاجاتهم الى بناء كافة

العلوم فى ضوء المفاهيم الماركسية اللينينية بل كانوا ينقلون أبناء الأفغان المسلمين الى روسيا ليتعلموا وفق هذه المفاهيم وحتى يسهل عليهم قيادة البلاد قيادة إلحادية بأمثال هؤلاء الذين تربوا على موائدهم ــ فنحن فى أمس الحاجة الى إعادة صياغة المناهج التعليمية والتربوية وفق كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وفارق كبير بين الصياغة الإلحادية التى تخرج أجيالاً من الملاحدة وبين الصياغة الإيمانية التى تخرج علماءً مؤمنين يتكلمون بلسان المسلمين ويفكرون بعقليتهم ويقودون البلاد قيادة ايمانية يتأسون فيها بخير القرون ويمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام فمن قال ان الإسلام يعنى التخلف ويحارب العلم المادى كان الرد ان يمتلك المسلمون القوة وان يتعلموا ومن قال ان الإسلام لا يصلح لحياة الناس كان الرد هو اقامة الإسلام العملي الواقعي وهكذا يصبح الحق حقاً والباطل باطلاً وليس الدليل فى كل وقت كلاماً فالعالم الواقعى هو الميدان لجهادنا وإثبات حقنا وإقامة دليل للرد على كل شبهة أما إذا أصبحت الكتب والأوراق فقط هى الميدان الذى نحارب من خلاله فإننا ولاشك نخسر المعركة ــ فالرد يكون كلاماً فى مقابلة الكلام وعملاً فى مقابلة الأعمال فإذا أفرزت العلمانية والإلحاد إنحرافاً ونجاسة فيجب على التوحيد أن يوجد طهراً وعفافاً وإستقامة وإذا كانت هذه النظم الوضعية تعنى الظلم فالتوحيد يعنى العدل فالعدل يجب أن يكون واقعاً محسوساً والإسلام يجب أن يكون واقعاً مطبقاً وليس مجرد قضية كلامية نصرخ بها هنا وهناك ــ ويوم نملك لكل شبهة جواباً يراه الناس أفعالاً لا كلاماً فقط فحينئذ نستطيع بحول الله وقوته وتوفيقه أن نقضي على هذه المناهج والزبالات التي تفتقت عنها عقول البشر .

الديمقراطية وقضية الحكم بما انزل الله

الديمقراطية وفق تعريفها تعنى حكم الشعب نفسه بنفسه لنفسه وأن الشعب هو مصدر السلطات سواء كانت تشريعية أو قانونية أو تنفيذية فالديمقراطية عبارة عن نظام للحكم يقوم على اساس ان الشعب هو مصدر السلطات واعطاؤه حق تشريع الأنظمة والقوانين وهذه مصادمة واضحة بينة للشرع والعقل والواقع فى آن واحد وذلك لأن التشريع حق الله وحده والسلطة التشريعية لابد من الرجوع بها لكتاب الله ولسنة رسوله ﷺ ﴿ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ [الرعد : ٤١] . ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَالَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى : ٢١] . ﴿ إِنَّ الْحُكْمُ إِلَّا لله أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٤٠] . ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٢٦] . والنبى ﷺ صادق مصدوق ﴿ وَمَايَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم : ٣] . إذاً فهذه السلطة مصدرها الشرع لا الشعب ولا بأس بأن نسن النظم الإدارية والتى تقوم على البساطة والسرعة فى انجاز الأعمال وتتحقق بها مصلحة البلاد والعباد ولكن دون مصادمة أو مخالفة لكتاب الله أو لسنة رسول الله ﷺ كقانون المرور مثلاً فهو نظام مطلوب للحفاظ على أرواح الناس وتيسير سبل الحركة ــ فى الطرق وهذا شبيه بقانون الجند والدواوين الذى انشأه عمر بن الخطاب رضى الله والواجب علينا التفريق بين النظام الشرعى والنظام الإدارى وإلا فكثيراً ما يخلط الناس بين هذا وذاك الأمر الذى يسهل على المغرضين فى النهاية التشكيك والتشويه فلا يجوز شرعاً إنشاء مجالس تشريعية تبحث هل الربا تتعامل به أم لا وهل تمنع الخمر أم لا ونعرض ذلك على عقول البشر فمهمة العقل أن يفهم الشرع وأن يستسلم لحكم ربه ويحل ما أحل الله ويحرم ما حرم الله جل وعلا ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُنَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [النساء : ٦٥] . وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ

ضَلَالاً مُبِيناً ﴾ [الأحزاب : ٣٦] . وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة : ٤٩] . ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠] . وتقتصر دور هذه المجالس على سن القوانين الإدارية فقط التى لا تخالف شرع الله ويراعى فيها تحقيق المصالح ودرء ودفع المفاسد .

ثم السلطة القضائية فالمصدر فيها يجب أن يكون الشرع لا الشعب والقضاة يجب عليهم أن يحكموا بما أنزل الله وليس لهم أن يحكموا بقوانين وضعية أو نظم كفرية — يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه منهاج السنة النبوية « ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر ، فمن أستحل أن يحكم بين الناس بما يراه عدلاً من غير اتباع لما انزل الله فهو كافر فإنه ما من أمة إلا وهى تأمر بالعدل وقد يكون العدل فى دينها ما رآه أكابرهم بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التى لم ينزلها الله تعالى وكانوا الأمراء المطاعين ويرون أن هذا هو الذى ينبغى أن يحكم به دون الكتاب والسنة وهذا هو الكفر فإن كثيراً من الناس أسلموا ولكن لا يحكمون إلا بالعادات الجارية التى يأمر بها المطاعون فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما انزل الله فلم يلتزموا ذلك بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار » وقال : « ليس لأحد أن يحكم بين أحد من خلق الله لا بين المسلمين ولا الكفار ولا الفتيان ولا رماة البندق ولا الجيش ولا الفقراء ولا غير ذلك إلا بحكم الله ورسوله ومن ابتغى غير ذلك تناوله قوله تعالى ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ وقوله تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ . فيجب على المسلمين أن يحكموا الله ورسوله فيما شجر بينهم ومن حكم بحكم البندق وشرع البندق أو غيره مما يخالف شرع الله وشرع رسوله وحكم الله وحكم رسوله وهو يعلم ذلك فهو من جنس التتار الذين يقدمون حكم « الياسق » على حكم الله وحكم رسوله ومن تعمد ذلك فقد قدح فى عدالته ودينه ا. هـ يقول ابن القيم رحمه الله تعالى « من تحاكم أو حاكم الى غير ما جاء به الرسول ﷺ — فقد حكم الطاغوت وتحاكم اليه » وقال عن الطاغوت « الطاغوت كل ما

تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله » ا. هـ. فالحاكم الجائر المغير لأحكام الله طاغوت يقول تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيداً ﴾ [النساء : ٦٠] . ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسير قوله تعالى ﴿ أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠] . يقول : ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله تعالى المحكم المشتمل على كل خير ، الناهى عن كل شر وعدل الى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاح التى وصفها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بأرائهم وأهوائهم وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذى وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الاسلامية وغيرها وفيها كثير من الأحكام اخذها من مجرد نظره وهواه فصارت شرعاً متبعاً يقدمونه على الحكم بالكتاب وسنة الرسول ﷺ .

ونحن إذا نظرنا فى اللجان القانونية فسنجد فى كل لجنة مقرر والذى يضع النظام أو القانون فرد وتقره اللجنة بعد ذلك أو تعترض عليه اذاً فالتشريع للبشر أصبح حكراً على واحد أو بصفة أفراد وهؤلاء أصبح يطلق عليهم اسم المشرعين وهذا حدث فى وضع القانون المدنى المصرى والذى وضعه الدكتور عبد الرازق السنهورى المصرى والأستاذ ادوارد لامبير الصليبى الفرنسى وقد عاون فى وضعه الصليبيان استويت وساس وأخذوا أكثر من ٨٥٪ من نصوصه من قوانين الكفار الصليبيين ولذلك نراه يبيح أحكاماً حرمتها الشريعة حرمة قطعية كالربا والقمار . والنصوص القليلة التى اخذت من الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامى روعى فيها أن تكون متفقة مع المبادىء التى قام عليها القانون فالقانون هو المهيمن على الشريعة الإسلامية يأخذ منها ما يوافقه ويرفض ما لا يتفق مع مبادئه يقول : الدكتور السنهورى فى هذا : « يراعى فى الأخذ بأحكام الفقه الإسلامى التنسيق بين هذه الأحكام والمبادىء

العامة التى يقوم عليها التشريع المدنى فى جملته فلا يجوز الأخذ بحكم فى الفقه الإسلامى يتعارض مع مبدأ من هذه المبادىء حتى لا يفقد التقنين المدنى تجانسه وانسجامه » . وهكذا تكون أحوال العباد عندما ينصبون من أنفسهم حكاماً على دين الله يأخذون منها ما يوافق أصول التقنين الحديث ويتركون منها ما خالفه وكأنما حكم الله وشرعه متروك لأحكام البشر وأهوائهم ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ العَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[البقرة : ٨٥ . وهذا القانون الوضعى الذى حكمت به البلاد لا يقره المسلمون ولم يقره رجال مصر يوم وضع وتمت المناقشات حوله ويذكر التاريخ وقفات طيبة للمستشار حسن الهضيبى / رحمه الله والشيخ عبد الوهاب طلعت باشا وغيرهم فى الرد على هذا القانون .

ثم نأتى بعد ذلك للسلطة التنفيذية وهى بيد الحاكم وبالتالى فعبارة الشعب مصدر السلطات ما هو إلا لفظاً انشائياً لا واقع له فى الحياة وحتى لو كان الأمر كذلك فالسيادة انما هى لشرع الله عز وجل والناس جميعاً حكاماً كانوا أو محكومين وسواء كانوا فى السلطة التنفيذية أو القضائية يجب عليهم ان ينقادوا لشرع الله ويقودون الناس به « وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » « والإمام راع وهو مسئول عن رعيته » [متفق عليه] ولاشك ان الحاكم دوره خطير ومسئوليته أعظم وبصلاحه واستقامته ينصلح خلق كثير ويستقيمون على أمر الله وكما قال عثمان بن عفان رضى الله عنه « ان الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن » وليس له ان يتابع آراء أو أهواء البشر قلّت أو كثرت اذا صادمت شرع الله وبحجة أنه ينزل على إرادة شعبه هذا اذا كان الشعب يرفض الرجوع لدين الله فكيف ومطالبة الناس بتحكيم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ مراراً أمر لا ينكره إلا من أعمى الله بصره وبصيرته « وختم على قلبه وجعل على بصره غشاوة » والحكم بغير ما أنزل الله تارة يكون مخرجاً من الملة وتارة لا يكون ومن خير من فصل القول فى هذه المسألة وبينها العلامة الشيخ محمد بن ابراهيم مفتى الديار السعودية الأسبق كما بين ذلك الدكتور عمر الأشقر فى كتابه القيم (الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية) يقول « فقد ذكر رحمه الله أن الحكم بغير ما أنزل الله يقسم الى قسمين كفر اعتقادى وكفر عملى ثم فصل القول فى الكفر الإعتقادى

وذكر أنه ستة أنواع » فقال : « أما الأول وهو كفر الاعتقاد فهو أنواع : أحدهما أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله وهو معنى ما روى عن ابن عباس ، واختاره أبن جرير أن ذلك هو جحود ما أنزل الله من الحكم الشرعى وهذا ما لا نزاع فيه بين أهل العلم فإن الأصول المتقررة المتفق عليها بينهم ان من جحد أصلاً من أصول الدين أو فرعاً مجمعاً عليه أو انكر حرفاً مما جاء به الرسول ﷺ قطعياً فإنه كافر الكفر الناقل عن الملة . الثانى : ألا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسوله حقاً لكن أعتقد أن حكم غير الرسول ﷺ أحسن من حكمه وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع إما مطلقاً أو بالنسبة إلى ما أستجد من الحوادث التى نشأت عن تطور الزمان وتغير الأحوال وهذا أيضاً لا ريب انه كفر لتفضيله أحكام المخلوقين التى هى محض زبالة الأذهان وصرف حثالة الأفكار على حكم الحكيم الحميد وحكم الله ورسوله لا يختلف فى ذاته بإختلاف الأزمان وتطور الأحوال وتجدد الحوادث فإنه ما من قضية كائنة ما كانت إلا وحكمها فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ نصاً أو ظاهراً أو أستنباطاً وغير ذلك علم ذلك من علمه وجهله من جهله وليس معنى ما ذكر العلماء من تغير الفتوى بتغير الأحوال ما ظنه من قل نصيبهم أو عدم من معرفة مدارك الأحكام وعللها حيث ظنوا أن معنى ذلك بحسب ما يلائم إرادتهم الشهوانية البهيمية وأغراضهم الدنيوية وتصوراتهم الخاطئة الوبية ولهذا تجدهم يحامون عنها ويجعلون النصوص تابعة لها منقادة إليها مهما أمكنهم فيحرفون لذلك الكلم عن مواضعه وحينئذ معنى تغير الفتوى بتغير الأحوال والأزمان مراد العلماء منه ما كان مستصحبة فيه الأصول الشرعية والعلل المرعية والمصالح التى جنسها مراد الله تعالى ورسوله ﷺ ومن المعلوم أن أرباب القوانين الوضعية عن ذلك بمعزل وأنهم لا يقولون إلا على ما يلائم مراداتهم كائنة ما كانت والواقع أصدق شاهد . الثالث : ألا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله لكن اعتقد أنه مثله فهذا كالنوعين اللذين قبله فى كونه كافراً الكفر الناقل عن الملة لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق والمناقضة والمعاندة لقوله عز وجل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] . ونحوها من الآيات الكريمة الدالة على تفرد الرب بالكمال وتنزيهه عن مماثلة المخلوقين فى الذات والصفات والأفعال والحكم بين الناس

فيما يتنازعون فيه . الرابع : ألا يعتقد كون حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مماثلاً لحكم الله ورسوله فضلاً عن أن يعتقد كونه أحسن منه لكن اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله . فهذا والذى قبله يصدق عليه ما يصدق عليه لإعتقاد جواز ما علم بالنصوص الصحيحة الصريحة القاطعة تحريمه وقد أشار العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى إلى الأنواع الثلاثة الأخيرة التى أشار اليها الشيخ فقال « إن ظن أن غير هدى النبى ﷺ أكمل من هديه أو أن من الأولياء من يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهذا كافر يجب قتله بعد إستتابته لأن موسى لم تكن دعوته عامة ولم يكن يجب على الخضر اتباع موسى بل قال الخضر لموسى : إنى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه » مجموع الفتاوى ٥٨/٢٧ ــ وفى هذا يقول صاحب الطحاوية « إن اعتقد الحاكم أن الحكم بغير ما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو أستهان به مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر الخامس : وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه ومشاقة لله ولرسوله ومضاهاة بالمحاكم الشرعية إعداداً وإمداداً وإرصاداً وتأصيلاً وتفريعاً وتشكيلاً وتنويعاً وحكماً وإلزاماً ومراجع ومستندات فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع ومستندات مرجعها كلها الى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلهذه المحاكم مراجع هى القانون الملفق من شرائع شتى وقوانين كثيرة كالقانون الفرنسى والقانون الأمريكى والقانون البريطانى وغيره من القوانين ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين الى الشريعة وغير ذلك فهذه المحاكم الآن فى كثير من أمصار الإسلام فهيأة مكملة مفتوحة الأبواب والناس إليها أسراب إثر أسراب يحكم حاكمها بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب من أحكام ذلك القانون وتلزمهم به وتقرهم عليه وتحتمه عليهم فأى كفر فوق هذا الكفر وأى مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة وذكر أدلة جميع ما قدمنا على وجه البسط معلومة معروفة لا يحتمل ذكرها هذا الموضع فيا معشر العقلاء ويا جماعات الأذكياء وأولى النهى كيف ترضون أن تجرى عليكم أحكام أمثالكم وأخطاء أشباهكم أو من هم دونكم ممن يجوز عليهم الخطأ بل خطأهم اكثر من صوابهم بكثير بل لا صواب فى حكمهم إلا ما هو مستمد من حكم الله ورسوله نصاً أو

استنباطاً تدعونهم يحكمون فى أنفسكم ودمائكم وأبشاركم وأعراضكم وفى أهاليكم من أزواجكم وذرياتكم وفى أموالكم وسائر حقوقكم ويتركون ويرفضون أن يحكموا فيكم بحكم الله ورسوله الذى لا يتطرق اليه الخطأ ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وخضوع الناس ورضوخهم لحكم ربهم خضوع ورضوخ لحكم من خلقهم تعالى ليعبدوه فكما لا يسجد الخلق إلا لله ولا يعبدون إلا إياه ولا يعبدون المخلوق فكذلك يجب ألا يرضخوا ولا يخضعوا أو ينقادوا إلا لحكم الحكيم العليم الحميد الرؤوف الرحيم دون حكم المخلوق الظلوم الجهول الذى أهلكته الشكوك والشهوات والشبهات واستولت على قلوبهم الغفلة والقسوة والظلمات فيجب على العقلاء أن يربؤوا بنفوسهم عنه لما فيه من الإستعباد لهم والتحكم فيه بالأهواء والاغراض والأغلاط والأخطاء فضلاً عن كونه كفراً ينص قوله تعالى ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] . السادس : ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل من البوادى ونحوهم من حكايات آبائهم وأجدادهم وعاداتهم التى يسمونها سلومهم يتوارثون ذلك منهم ويحكمون به ويحرصون على التحاكم إليه عند النزاع بقاءاً على أحكام الجاهلية واعراضاً ورغبة عن حكم الله ورسوله فلا حول ولا قوة الا بالله . ا. هـ. والذى نحن فيه اليوم هو هجر لأحكام الله عامة بلا استثناء وإيثار أحكام وضعية وتعطيل لكل ما فى شريعة الله بل بلغ الأمر مبلغ الاحتجاج على تفضيل أحكام القانون الوضعى على أحكام الله المنزلة وإدعاء المحتجين لذلك بان أحكام الشريعة إنما نزلت لزمان غير زماننا ولعلل وأسباب انقضت فسقطت الأحكام كلها بانقضائها فأين هذا من قول ابن عباس كفر دون كفر فى قوله تعالى ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] . ولم يحدث فى تاريخ الإسلام ان سن حاكم حكماً وجعله شريعة ملزمة للقضاء بها ثم الحاكم الذى حكم فى قضية بعينها بغير حكم الله فيها فإنه إما أن يكون حكم بها وهو جاهل فهذا أمره أمر الجاهل بالشريعة وإما أن يكون حكم بها هوى ومعصية فهذا ذنب تناله التوبة وتلحقه المغفرة وإما أن يكون حكم به متأولاً حكماً يخالف به سائر العلماء فهذا حكمه حكم كل متأول يستمد تأويله من الإقرار بنص الكتاب وسنة رسول الله ﷺ . ولم يكن زمن ابن عباس رضى الله

عنهما والزمن الذى بعده حاكماً حكم بقضاء فى أمر جاحداً لحكم من أحكام الشريعة أو مؤثراً لأحكام أهل الكفر على أحكام أهل الإسلام ــ ويبقى الحديث بعد ذلك على هذه الصور الستة التى ذكرها الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله وعدها مخرجة من الملة والتى هى ليست محلاً للنزاع أو الخلاف فتطبيقها على حاكم أو انسان بعينه أمر يحتاج إلى نظر وحيطة فقد يكون القول كفراً ويطلق القول بتكفير قائله كما يقول النووى وابن تيمية فيقال من فعل كذا فهو كافر ومن قال كذا فهو كافر أما الشخص المعين فلا يكفر إلا بعد قيام الحجة الرسالية عليه والتى يكفر من خالفها بعد ذلك وهذه الحجة يقيمها عالم أو ذو سلطان مطاع بحيث تنتفى بها الشبهات وتدرأ بها المعاذير ويحيى من حيَّ عن بينة ويهلك من هلك أيضاً عن بينة .

وختاماً نقول أين الديمقراطية بقوانينها الوضعية وبإعطائها حق الخالق للمخلوق أين هى من شرع الله ومن دين الله فالديمقراطية شيء والإسلام شيء آخر وقد رأينا كيف مكنت هذه القوانين لأعداء الله فى ديار المسلمين وهى عاجزة عن تحقيق الأهداف المرجوة منها لأنها تتصف بصفات واضعيها من القصور والعجز والأنانية ولم تنظر الى العقيدة والأخلاق فلا لقاء بين القوانين الوضعية والشريعة الإسلامية ولا صلاح للبلاد والعباد إلا بتطبيق دين الله وتضييع الشريعة معناه أن تعود هذه الأمة إلى مثل الجاهلية الأولى أو أشد إلى مثل حرب داحس والغبراء تناطحاً على المكاسب الوطنية والزعامات القومية وإذا كنا حقاً نبتغى وحدة حقيقية للأمة الإسلامية فعلينا بتحكيم شرع الله وإقصاء القوانين الوضعية وإلا فكل مجموعة من الدول العربية تطبق قانوناً يختلف تماماً عن القانون الذى تطبقه الدول العربية المجاورة لها . وعيب بمن خلق من مجرى البول مرتين وأوله نطفة قذرة وآخره جيفة قذرة وهو بين أوله وآخره يحمل العذرة قبيح به ان ينصب من نفسه إلهاً مع الله يشرع من دون الله ويتحكم بتشريعاته الوضعية فى رقاب عباد الله فالتشريع حق لله وحده لا ينازعه فيه مخلوق

﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [يوسف : ٦٧] .

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص : ٨٨] .

﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ط[القصص : ٧٠] .

والحلال ما أحل سبحانه والحرام ما حرم والدين ما شرع والخلق خلقه والأمر أمره

والعبد عبده ... ويقول سبحانه ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية : ١٨] . وقد صرحت الآيات أن طاعة المشركين فى حكم تشريعى واحد شرك بالله وفى ذلك يقول تعالى ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الانعام : ١٢١] . يقول ابن تيمية « إذا حكم ولاة الأمر بغير ما أنزل الله وقع بأسهم بينهم ، قال رسول الله ﷺ ﴿ ما حكم قوم بغير ما أنزل الله إلا وقع بأسهم بينهم ﴾ [رواه ابن ماجه والحاكم وغيره وحسن الألبانى رواية الحاكم] وهذا من أعظم أسباب تغير الدول كما قد جرى مثل هذا مرة بعد مرة فى زماننا وغير زماننا ومن أراد الله سعادته جعله يعتبر بما أصاب غيره فيسلك مسلك من أيده الله ونصره ويجتنب مسلك من خذله الله وأهانه فان الله يقول فى كتابه ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ . فقد وعد الله بنصرة من ينصره ونصره هو نصر كتابه ودينه ورسوله لا نصر من يحكم بغير ما أنزل الله ويتكلم بما لا يعلم . فأول خطوة على طريق النصر تكون بالعودة الى الله وتحكيم شرعه .

شبهة وبيان :

يقول بعض المغرضين والمارقين والنصارى كيف تطبقون حكم الإسلام علينا ونحن لنا دين يختلف عن دينكم ؟ ويظهر العلمانيون والديمقراطيون الشفقة الكاذبة على النصارى وأن تطبيق الإسلام عليهم أمر يتنافى مع العدل والإنسانية والحرية وهذا الأمر يحتاج ولاشك إلى توضيح وبيان نذكره على سبيل الاجمال فى عدة نقاط :

١ ــ يقول تعالى ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران : ١٩] . ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] . ودين الحق واحد هو الذى بعث به الأنبياء والمرسلون من لدن آدم حتى خاتمهم وسيد ولد آدم ﷺ وإنما تعددت الشرائع وشريعة الإسلام حاكمة ومهيمنة على سائر الشرائع .

٢ ــ دساتير الدول كما هو معروف تحكم جميع الرعايا ويحكم بها القضاة وغير مسموح لأحد بالخروج على نظام الدولة التى يتواجد فيها حتى وإن كان

نظاماً وضعياً كفرياً ويعلقون المشانق لمن خرج على دستور البلاد فكيف بمن خرج على حكم أحكم الحاكمين ورب العالمين .

٣ ــ رعايا البلد لا يقتصرون على النصارى فقط وهم باختيارهم المقام فى دار الإسلام قد حققوا السبب الذى جعلهم خاضعين للأحكام الإسلامية . ولذلك أقام النبى ﷺ الحد على اليهوديين الزانيين .

٤ ــ فى عقود الذمة كهذا الذى أبرمه عمر بن الخطاب وغيره من حكام المسلمين . يقر الحاكم أو نائبه بعض أهل الكتاب أو غيرهم من الكفار على كفرهم بشرطين :

ا ــ أن يلتزموا أحكام الإسلام فى الجملة .

ب ــ أن يبذلوا الجزية ويسرى هذا العقد على الشخص الذى عقده ما دام حياً وعلى ذريته من بعده يقول تعالى ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صاغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٣٩] . وروى البخارى : أن المغيرة قال : يوم نهاوند ــ أمرنا نبينا أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية ــ وهذا العقد دائم غير محدود بوقت مادام لم يوجد ما ينقضه .

٥ ــ إذا تم عقد الذمة ترتب عليه حرمة قتالهم والحفاظ على أموالهم وصيانة أعراضهم والكف عن آذاهم لما روى عن على رضى الله عنه أنه قال « إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا » والقاعدة العامة التى رآها الفقهاء « أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا » وليس للمسلم أن ينكر عليه عدم قيامه بشعائر الإسلام كالصلاة والصيام والحج لأنها عبادات تخالف معتقده ــ وما يتصل بشعائرهم الدينية من عقائد وعبادات وما يتصل بالأسرة من زواج وطلاق فالقاعدة الفقهية المقررة فيها « أتركوهم وما يدينون » .

٦ ــ يشترط مع الجزية التزام أحكام الإسلام كما ذكرنا فإن امتنع من لزوم الأحكام أو قاتل المسلمين أو زنى بمسلمة أو أصابها باسم نكاح أو فتن مسلماً عن دينه أو قطع الطريق على مسلم أو آوى مشركاً أو دل المشركين على عورات المسلمين أو قتل مسلماً أو ذكر الله تعالى أو رسوله أو دينه بما لا يجوز فقد انتقضت ذمته فى ذلك جميعه وقد اخذ عليهم فى عقود الذمة أن لا يدقون ناقوساً ولا يظهرون صليباً ولا يبيعون كتاباً من كتبهم فى أسواق المسلمين إلى غير ذلك من المعانى المذكورة فى كتب الفقه والسير .

٧ ــ ليس للمسلم أن ينكر على الكتابى شربه الخمر وأكل لحم الخنزير لأن ذلك حلال عنده وليس فيه مساس بحق غيره أما إظهار الخمر والخنزير له فالراجح الإنكار عليه فى ذلك .

٨ ــ أحكام الإسلام تجرى على أهل الذمة فيما يتعلق بالمعاملات المالية فلا يجوز لهم أن يتصرفوا تصرفاً لا يتفق مع الإسلام كعقد الربا وغيره من العقود المحرمة وتقام عليهم الحدود الشرعية إذا فعلوا ما يوجب ذلك ويقتص منهم .

٩ ــ هناك فرق بين إعتقاد الذمى حلية الفعل واتيانه إياه فى دار الإسلام بما ينطوى عليه من مساس بحق الدولة المسلمة أو بحقوق أفرادها ولذلك يجب الانكار على الذمى ولو كان من وقع عليه فعل المنكر على دين الذمى وذلك كما فى حالة التعامل بالربا ولأن أثر الفعل لا يقتصر عليهما بل يتعدى الى غيرها . أما القتل والضرب والسرقة والمطل والرشوة والغش والقذف والغصب والإتلاف فكل ذلك يعد منكراً فى حق غير المسلم مثلما هو منكر فى حق المسلم يجب انكاره .

١٠ ــ إن تحاكموا إلينا مع المسلمين وجب الحكم بينهم لأنه لا يجوز أن يحكم على المسلمين حاكم الكفار ، وإن تحاكموا إلينا بعضهم مع بعض ففيه قولان أحدهما يلزمه الحكم بينهم كالمعاهدين والثانى التخيير بين القبول والرفض يقول تعالى ﴿ فَإِنْ جَاۤؤُكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ

الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة : ٤٢] .

١١ ــ يجوز لنا أن نبيع ونشترى لأهل الكتاب ونهاديهم ونتزوج من نسائهم ونرحمهم بالرحمة العامة ونقبل ضيافتهم ونجادلهم بالتى هى أحسن ونعودهم فى مرضهم وفى ذات الوقت لا محبة بيننا وبينهم ولا أخوة ولا صداقة ولا مودة ولا موالاة .

وعلى هذا المعنى وعلى ذاك دلت نصوص الكتاب والسنة فلا داعى لأن نصادم بعض النصوص ببعضها الآخر وكلها خرجت من مشكاة واحدة فلا يظن بنصوص الوحى وجود تعارض وعمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما أهدى له النبى ﷺ حلة سيراء أهداها هو لأخ مشرك له بمكة « وبوب على ذلك الإمام البخارى » « باب إهداء الوالد المشرك » . « باب إهداء الأخ المشرك » وعمر هو الذى قال للنبى ﷺ يوم بدر « أرى ان تدفع لى فلاناً وتدفع عقيلاً لعلى وتدفع فلاناً لحمزة حتى نقتلهم وحتى يعلم الله أن ليس فى قلوبنا هوادة للمشركين . ولما ذهب عبد الله بن رواحة لتخريص نخل يهود خيبر فأرادوا رشوته قال لهم « يا أعداء الله تعلموننى السحت فوالله لقد جئتكم من عند أحب الناس الىّ ولأنتم أبغض إلى من عدتكم من القردة والخنازير ولا يحملنى حبى إياه (يقصد النبى ﷺ) وبغضى إياكم على ألا أعدل بينكم فقالوا بهذا قامت السموات والأرض . يقول تعالى ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة : ١٢٠] . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة : ٥١] . ويقول تعالى ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾ [الممتحنة : ٨] . ولذلك قال الإمام الخطابى « الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه » ويقول سبحانه ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ [هود : ١١٣] . ولا يصح لمسلم أن يظهر شعائر الدين الباطل ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ [الفرقان : ٧٢] . قال عمر وغيره هى أعياد المشركين لانها من أعظم شعائر دينهم الباطل بل لا يبيعهم ما يستعينون به على ذلك ولا يتقبل هداياهم المتعلقة بأعيادهم الكفرية ولا يدخل عليهم كنائسهم فى أعيادهم لأن السخطة تنزل عليهم وفى ذات الوقت ثبت أن النبى ﷺ

دعى لطعام يهود المدينة ومات ﷺ ودرعه مرهونة من يهودى وعاد الغلام اليهودى وقال له أسلم فقال له أبوه أطع أبا القاسم وفاضت روح الغلام فقال لهم النبى ﷺ صلوا على صاحبكم . واذا كان المسلم يجوز له أن يتزوج من الكتابية وهذا مظنة أن تسلم بإذن الله إذا تعرفت على دين الله فيجب عليه أن يقوم على تربية أولاده تربية إسلامية ويتعاهدهم فى ذلك وليس له أن يحب ما عليه زوجته من دين باطل وليس للكتابى ان يتزوج مسلمة وإن فعل انتقض عقده بذلك ﴿ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ . ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ والزواج فيه قوامة والاسلام يعلو ولا ويعلى عليه . والأولاد يتبعون المسلم منهما سواء أكان الأب أو الأم فى حالة إذا أسلمت الأم تحت رجل كتابى أو أسلم الكتابى وبقيت الأم على دينها . وتفصيلات الأحكام فى ذلك كثيرة وهى ولله الحمد موضحة ومبينة فى كتب أهل العلم فليرجع إليها وإنما اقتصرنا منها على ما تدعوا إليه الحاجة فى نظرنا وخصوصاً بعد اختلاط المفاهيم وغربة الحال وتبدل الأوضاع وشيوع الفلسفات والمناهج والترويج لها فى بلدان المسلمين على أيدى أعدائهم فعاد الإسلام غريباً كما بدأ غريباً وانتهز فرصة ضعف الأمة من لا خلاق له فتسلط عليها والله غالب على أمره ومتم نوره ولو كره الكافرون وهذه الصحوة الإيمانية التى نراها والتى هى محض فضل وتوفيق من الله ما هى إلا مقدمة بين يدى حدث ضخم يكاد يلوح فى الأفق « وان غداً لناظره قريب » .

الديمقراطية والولايات

لا غضاضة ولا حرج فى النظام الديمقراطى من أن تتولى المرأة إمرة الرجل أو أن يتولى الكافر إمرة ولاية المسلمين فقط يكفى فى ذلك الإنتخاب أو الإرادة الشعبية الحرة فى انتخاب ممثلى الشعب كما يقولون فالرضى فقط يكفى عمن ينوب عن الإنسان رجلاً كان أو أمرأة مسلماً أم غير مسلم ومخالفة الديمقراطية فى ذلك للإسلام مخالفة واضحة وصريحة وفساد ما ذهبت إليه الديمقراطية وبطلانها واضح شرعاً وعقلاً والشر تزداد حدته إذا تولى الكافر أو المرأة ولاية الخلافة أو الحكم على المسلمين وقد تكلم علماء الأمة قديماً وحديثاً على شروط الولاية وكيفية انعقاد الولاية وقواعد العزل فلم يترك الأمر هملاً ونحن نبين بتوفيق الله بعض المعانى المتعلقة بالإمامة العظمى والولايات الخاصة وبشيء من الإختصار والإجمال وحتى نستوضح مدى انحراف الديمقراطية وخطأ المناداة بها .

الخلافة أو الإمامة العظمى

يقول تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة : ٣٠] . قال القرطبى فى تفسيرها « هذه الآية أصل فى نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع لتجتمع به الكلمة وتنفذ به أحكام الخليفة ولا خلاف فى وجوب ذلك بين الأمة وبين الأئمة الا ما روى عن الأصم حيث كان عن الشريعة أصم إلى أن قال ودليلنا قول الله تعالى ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . وقوله تعالى ﴿ يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الأَرْضِ ﴾ [ص : ٢٦] . وقال ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنُّهُمْ فِى الأَرْضِ ﴾ [النور : ٥٥] . وقد أجمعت الصحابة على تقديم الصديق بعد وفاة النبى ﷺ فدل على وجوبها وانها ركن من أركان الدين الذى به قوام المسلمين فمن المعلوم من الدين بالضرورة أن المسلمين يجب عليهم نصب إمام تجتمع به الكلمة وتنفذ به أحكام الله فى أرضه .

فالخلافة موضوعة لإقامة الدين وسياسة الدنيا به وهذا موضع إتفاق ومحل إجماع من يعتد بقوله فهل النظام الديمقراطى يهدف لذلك ؟

انعقاد الإمامة يتم بأحد الأمور الآتية :

١ ــ ما لو نص النبى ﷺ على أن فلاناً هو الإمام فإنها تنعقد به بذلك وقال بعض العلماء إن إمامة أبى بكر رضى الله عنه فى هذا القبيل لأن تقديم النبى ﷺ له من إمامة الصلاة وهى أهم شىء فيه الإشارة الى التقديم للامامة الكبرى وهو ظاهر .

٢ ــ اتفاق أهل الحل والعقد على بيعته وقال بعض العلماء إن إمامة أبى بكر منه لإجماع أهل الحل والعقد على بيعته ولا عبرة بعدم رضى بعضهم كما وقع من سعد بن عبادة رضى الله عنه من عدم قبوله بيعة أبى بكر رضى الله عنه .

٣ ــ أن يعهد إليه الخليفة الذى قبله كما وقع من أبى بكر لعمر رضى الله عنهما ومن هذا القبيل جعل عمر رضى الله عنه الخلافة شورى بين ستة من أصحاب رسول الله ﷺ مات وهو عنهم راض وهذا ما يطلق عليه اسم ولاية العهد ، يقول أبو يعلى الحنبلى فى كتاب الأحكام السلطانية « يجوز للإمام أن يعهد إلى امام بعده ... ولأن عهده إلى غيره ليس بعقد للإمامة . ا. هـ. فالإمامة لا تنعقد للمعهود إليه بنفس العهد وإنما تنعقد بعهد المسلمين وذلك بعد موت الأول وباختيار أهل الوقت وقد رجح هذه الطريقة بعض العلماء على طريقة انتخاب أهل الحل والعقد للخليفة دون عهد منه إلى أحد لما فى العهد من حسم لمادة الخلاف والنزاع وفى ذلك يقول ابن حزم « وهذا ــ أى العهد ــ هو الوجه الذى نختاره ونكره غيره لما فى هذا الوجه من اتصال الإمامة وانتظام أمر الإسلام أهله ورفع ما يتخوف من الإختلاف والشغب مما يتوقع فى غيره من بقاء الأمة فوضى ومن انتشار الأمر وحدوث الأطماع » الملل والنحل لابن حزم جـ (٤) ص ١٦٩ .

٤ ــ أن يتغلب على الناس بسيفه وينزع الخلافة بالقوة حتى يستتب له الأمر

وتدين له الناس لما فى الخروج عليه حينئذ من شق عصا المسلمين وإراقة دمائهم ومن هذا القبيل قيام عبد الملك بن مروان على عبد الله ابن الزبير وقتله إياه فى مكة على يد الحجاج بن يوسف فاستتب الأمر له كما قال ابن قدامة فى المغنى وكلام العلماء ونقلهم لهذه الصورة إنما هو حكاية لواقع قد يحدث وما يترتب عليه ومعلوم أن من شروط الخليفة أن يكون حراً ولكن قد يتغلب عبد حقيقة بالقوة فإن طاعته تجب إخماداً للفتنة وصوناً للدماء مالم يأمر بمعصية (ذكره الشنقيطى فى أضواء البيان جـ (١) ص ٥٦) .

شروط الخليفة (وسواء أطلقنا عليه وصف الحاكم أو الرئيس أو الإمام أو أمير المؤمنين فلابد من توافر شروط تكلم عنها العلماء ووردت فى النصوص الشرعية :

١ ــ أن يكون قرشياً . وحكى غير واحد عليه الإجماع وبوب الإمام البخارى « باب الأمراء من قريش » والنصوص الشرعية دلت على أن ذلك التقديم الواجب لهم فى الإمامة مشروط بإقامتهم الدين وإطاعتهم لله ورسوله فإن خالفوا أمر الله فغيرهم ممن يطيع الله سبحانه وتعالى وينفذ أوامره أولى منهم .

٢ ــ كونه ذكراً ولا خلاف فى ذلك بين العلماء ويدل له ما ثبت فى صحيح البخارى وغيره من حديث أبى بكر رضى الله عنه أن النبى ﷺ لما بلغه أن فارساً ملكوا ابنة كسرى قال : ﴿ لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة ﴾ .

٣ ــ من شروط الإمام الأعظم كونه حراً فلا يجوز أن يكون عبداً ولا خلاف فى هذا بين العلماء .

٤ ــ أن يكون بالغاً فلا تجوز إمامة الصبى اجماعاً لعدم قدرته على القيام بأعباء الخلافة .

٥ ــ أن يكون عاقلاً فلا تجوز امامة المجنون ولا المعتوه وهذا لا نزاع فيه .

٦ ــ أن يكون عدلاً فلا تجوز إمامة فاسق حالة الإبتداء واستدل عليه بعض العلماء بقوله تعالى ﴿ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ ﴾ [النساء : ٥٩] . ويدخل فى اشتراط العدالة اشتراط

الإسلام لأن العدل لا يكون غير مسلم . ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ [النساء : ١٤١] . والولاية من أعظم السبيل ولقوله تعالى ﴿ وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩] . أى منكم أنتم أيها المسلمون .

٧ ــ أن يكون ممن يصلح أن يكون قاضياً من قضاة المسلمين مجتهداً يمكنه الإستغناء عن استفتاء غيره فى الحوادث .

٨ ــ أن يكون سليم الأعضاء غير زمن ولا أعمى ونحو ذلك ويدل لهذين الشرطين الأخيرين قوله تعالى فى طالوت ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى العِلْمِ وَالجِسْمِ ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

٩ ــ أن يكون ذا خبرة ورأى حصيفي بأمر الحرب وتدبير الجيوش وسد الثغور وحماية بيضة المسلمين والإنتقام من الظالم .

١٠ ــ أن يكون ممن لا تلحقه رقة فى إقامة الحدود ولا فزع من ضرب الرقاب ولا قطع الأعضاء ويدل لذلك إجماع الصحابة رضى الله عنهم على أن الإمام لابد أن يكون كذلك ــ قاله القرطبى .

أهــل الحــل والعـقد

إذا كان انتخاب الخليفة من حق الأمة ولها أن تباشر هذا الحق عن طريق أهل الحل والعقد فمن هم وما علاقتهم بالأمة ؟ وكيف ينالون هذه المنزلة ؟ .

يذكر الفقهاء أوصافاً عامة لأهل الحل والعقد منها :

١ ــ العدالة الجامعة بشروطها ويدخل فى اشتراط العدالة اشتراط الإسلام كما ذكرنا .

٢ ــ العلم الذى يتوصل به الى معرفة من يستحق الإمامة على الشروط المعتبرة فيها .

٣ ــ الرأى والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو للأمة أصلح وبتدبير المصالح أقوم .
ولو اختار الصحابة أهل الحل والعقد وترك لهم الأمر لما تعدوا الستة الذين ترك عمر رضى الله عنه الأمر شورى بينهم فقد كانوا هم المتبوعين فى الأمة الحائزين على ثقتها ورضاها لما عرفوا به من التقوى والعدالة والإخلاص والإستقامة وحسن الرأى ومعرفة الأمور والحرص على مصالح الأمة ــ وقد عرف الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله (صاحب تفسير المنار) أولى الأمر بأنهم جماعة أهل الحل والعقد وهم الأمراء والحكماء والعلماء ورؤساء الجند وسائر الرؤساء والزعماء الذين يرجع إليهم الناس فى الحاجات والمصالح العامة ــ وهؤلاء ينتخبون الحاكم نيابة عن الأمة ويعتبر اختيارهم ملزماً لعموم المسلمين . ولكن هل يكفى التوكيل الضمنى الذى حدث فى عصر الخلفاء الراشدين لاختيار أهل الحل والعقد فى عصرنا الحاضر والإجابة على ذلك بأن الصورة التى حدثت لا يستبعد تكررها إذا تشابهت الظروف والملابسات مع الأوضاع التى عاشها الصحابة رضوان الله عليهم والتى تباعد عنها حاضرنا تباعداً كبيراً فيما يتعلق بالعلم النافع والعمل الصالح وبالتالى فلا مانع من سن النظم الإدارية اللازمة لإجراء انتخاب وضمان سلامته من التزييف والتضليل وأن نضع فى هذا النظام الشروط الواجب توافرها فيمن تنتخبهم الأمة لتكوين جماعة أهل لحل والعقد فى ضوء ما ذكره الفقهاء من شروط فيهم ولإثبات نيابتهم بالتوكيل الصريح ولأن التوكيل الضمنى يتعذر حصوله فى الوقت الحاضر .

تنبيهـــات لابـد منهـــا

١ ــ الولايات الخاصة يُختار لها الأكفأ فالأكفأ والأولى فالأولى بحسب الولاية. ويشترط فيمن نختاره القوة والأمانة لقوله تعالى ﴿إِنَّ خير مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِىُّ الأمِينُ﴾ [القصص : ٢٦] . فولاية الجهاد نقدم فيها معنى القوة على معنى الأمانة وفى ولاية المال نقدم معنى الأمانة على معنى القوة . والولاية من أعظم السبيل فلا يصح فيها تولية الكافر ولأنه لا يؤتمن على نفسه فضلاً عن أن يؤتمن على مصالح الأمة ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ [هود : ١١٣] . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوامَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران : ١١٨] . ولما علم عمر أن أبا موسى الأشعرى استخدم كاتباً نصرانياً قال « لا تقربوهم وقد أبعدهم الله ولا تعزوهم وقد أذلهم الله ولا تكرموهم وقد أهانهم الله » ــ ولذلك لا يصح للكافر أن يتزوج من مسلمة ــ أو أن يتولى إمرة المسلمين لأن الإسلام يعلوا ولا يعلى عليه ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلكَافِرِينَ عَلَى المُؤمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ [النساء : ١٤١] .

٢ ــ تمنع المرأة من تولى المناصب العليا كأن تكون وزيرة أو قاضية وخاصة رئاسة الدولة لأن فى ذلك ظلم للمرأة وافتيات على المصلحة واتهام من يمنعون ولاية المرأة المناصب بأنهم يكرهون المرأة ليس أولى من العكس يعنى اتهام من يقحمون المرأة فى هذه الميادين بأنهم هم أعداؤها فى الحقيقة وهم الذين يزدرونها ويحتقرونها بل البيوت والأسر تفسد إذا كانت القوامة فيها للمرأة يقول تعالى ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [النساء : ٣٤] . ويقول سبحانه ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

وقد حددت الشريعة مكان المرأة ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ

الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] . ويقول النبى ﷺ ﴿ **والمرأة راعية على بيت زوجها ولده** ﴾ متفق عليه فلا تخرج من بيتها إلا لحاجة أذن الشرع فيها ومع التأدب بالآداب الشرعية وبإذن الزوج أو الولى وفى صحيح البخارى « لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » وهو دليل على تحريم تولى المرأة للولاية العظمى وغيرها من الولايات الكبيرة لأن الحديث عام لفظة قوم تشمل كل قوم ولفظة أمرأة تشمل كل امرأه فكل قوم أو أى قوم ولوا أمرهم امرأة فإنهم لا يفلحون وهذا هو حكم رسول الله ﷺ الذى يخالفه الديمقراطيون مع سائر مخالفاتهم لدين الإسلام — وقد أجمع أولوا الأمر من أهل الحل والعقد من الأمراء والعلماء على منع المرأة من تولى منصب رئاسة الدولة ولم يحدث فى تاريخ الإسلام (بصورة صريحة) ولا مرة واحدة أن تولت امرأة الحكومة .

هل يجوز للمرأة الدخول فى الانتخابات ؟

فى كتاب مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية ص ٣٥٦ وردت فتوى لفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية الأسبق وذلك فى ٤ مايو سنة ١٩٥٢ م والفتوى بعنوان خوض معركة الإنتخابات للمرأة غير جائز واليكم نص ما جاء فى المبادىء :

١ — رفع الإسلام من شأن المرأة فكون شخصيتها وقرر حريتها وفرض عليها طلب العلم والمعرفة .

٢ — لا يجوز للمرأة خوض غمار الانتخابات حماية لأنوثتها الطاهرة من العبث والعدوان والبعد عن مظاهر الريب وبواعث الافتتان .

سئل : وردت الينا اسئلة عديدة عن حكم انتخاب المرأة لعضوية مجلس النواب أو الشيوخ فى الشريعة الإسلامية إذ كانت ضجة من جانب بعض النساء للمطالبة بتعديل قانون الإنتخاب الذى حرمت نصوصه انتخابهن بحيث يكون لهن الحق فى الإنتخابات أجاب : بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله . عنى الإسلام

أتم عناية بإعداد المرأة الصالحة للمساهمة مع الرجل فى بناء المجتمع على أساس من الدين والفضيلة والخلق القويم وفى حدود الخصائص الطبيعية لكل من الجنسين فرفع شأنها وكون شخصيتها وقرر حريتها وفرض عليها كالرجل طلب العلم والمعرفة ثم ناط بها من شئون الحياة ما تهيؤها لها طبيعة الأنوثة وما تحسنه حتى إذا نهضت بأعبائها كانت زوجة صالحة وأماً مربية وربة منزل مدبرة وكانت دعامة قوية فى بناء الأسرة والمجتمع ــ وكان من رعاية الإسلام لها حق الرعاية أن أحاط عزتها وكرامتها بسياج منيع من تعاليمه الحكيمة وحمى أنوثتها الطاهرة من العبث والعدوان وباعد بينها وبين إخطار الريب وبواعث الافتتان فحرم على الرجل الأجنبى الخلوة بها والنظرة العارمة إليها وحرم عليها أن تبدى زينتها إلا ما ظهر منها وأن تخالط الرجال فى مجامعهم وأن تتشبه بهم فيما هو من خواص شئونهم وأعفاها من وجوب صلاة الجمعة والعيدين مع ما عرف عن الشارع من شديد الحرص على اجتماع المسلمين وتواصلهم وأعفاها فى الحج من التجرد للإحرام ومنعها الإسلام من الأذان العام وإمامة الرجل للصلاة والإمامة العامة للمسلمين وولاية القضاء بين الناس وأثم من يوليها بل حكم ببطلان قضائها على ما ذهب إليه جمهور الأئمة ومنع المرأة من ولاية الحروب وقيادة الجيوش ولم يبح لها من معونة الجيش إلا ما يتفق وحرمة أنوثتها كل ذلك لخيرها وصونها وسد ذرائع الفتنة عنها والافتتان بها حذراً من أن يحيق بالمجتمع ما يقضى إلى انحلاله وانهيار بنائه والله أعلم بما للطبائع البشرية من سلطان ودوافع وبما للنفوس من ميول ونوازع والناس يعلموه والحوادث تصدق ولقد بلغ من أمر الحيطة للمرأة أن أمر الله تعالى نساء نبيه ﷺ بالحجاب وهن أمهات المؤمنين حرمة واحتراماً وأن النبى ﷺ لم تمس يده (وهو المعصوم) أيدى النساء اللاتى بايعنه وأن المرأة لم تول ولاية من الولايات الإسلامية فى عهده ولا فى عهد الخلفاء الراشدين ولا فى عهود من بعدهم من الملوك والأمراء ولا حضرت مجالس تشاوره . ﷺ مع أصحابه من المهاجرين والأنصار ذلك شأن المرأة فى الإسلام ومبلغ تحصينها بالوسائل الواقية فهل تريد المرأة الآن أو تخترق آخر الأسوار وتقتحم على الرجال قاعة البرلمان فتزاحم فى الانتخاب والدعاية والجلسات واللجان والحفلات والتردد على الوزارات والسفر الى المؤتمرات والجذب والدفع وما إلى ذلك مما هو أكبر اثماً وأعظم خطراً من ولاية القضاء بين خصمين وقد

حرمت عليها واتفق أئمة المسلمين على تأثيم من يوليها تاركة زوجها وأطفالها وبيتها وديعة فى يد من لا يرحم إن ذلك لا يرضاه أحد ولا يقره الإسلام بل ولا الأكثرية الساحقة من النساء اللهم إلا من يدفعه تملق المرأة أو الخوف من غضبها إلى مخالفة الضمير والدين ومجاراة الأهواء ولا حسبان فى ميزان الحق لهؤلاء على المسلمين وعليهم أن يتعرفوا حكم الإسلام فيما يعتزمون الإقدام عليه من عمل فهومقطع الحق وفصل الخطاب ولاخفاء فى أن دخول المرأة فى معمعة الإنتخاب والنيابة غير جائز لما بيناه وإننا ننتظر من السيدات الفضليات أن يعملن بجد وصدق لرفعة شأن المرأة من النواحى الدينية والأخلاقية والاجتماعية والعلمية الصحيحة فى حدود طبيعة الأنوثة والتعاليم الإسلامية قبل أن يحرصن على خوض غمار الإنتخاب والنيابة وأن نسمع منهن صيحة مدوية للدعوة إلى وجوب تمسك النساء عامة بأهداب الدين والفضيلة فى الأزياء والمظاهر والاجتماعات النسائية وغير ذلك مما هو كمال وجمال للمرأة المهذبة الفاضلة ولهن منا جميعا اذا فعلن ذلك خالص الشكر وعظيم الإجلال ذلك خير لهن والله يوفقهن لما فيه الخير والصلاح ا . هـ

كيف استدرجوا المرأة لدخــول الإنتخابات ؟

كانت الذراع الأولى التى التف بها اليهود حول أوربا هى إنشاء مجتمع لا يقوم على الدين والذراع الأخرى هى أفكار ونظريات علمية مزمنة تهاجم الدين والأخلاق والذراع الأولى وجدت مع الثورة الصناعية والرأسمالية فى ذلك الوقت ولدت فى أحضان اليهودية وهم يسيرونها إلى هذه اللحظة فقد دخل اليهود كممولين للحركة الصناعية عن طريق الاقراض بالفوائد الربوية فلما وضعت الرأسمالية فى أيديهم انتهزوا هذه الفرصة فأقاموا المجتمع الأوربى الصناعى على غير أساس من الدين والأخلاق وكانت فرصتهم الثانية هى السيطرة ومن ابشع ما استخدموه قضية المرأة فقد حدث يومها أن هيأ الممولون الفرص لعمل المرأة لإخراجها من بيتها ثم جعلوا لها قضية وكانت هذه القضية فى مبدأ الأمر انهم جعلوها تعمل نفّس الساعات التى يعملها الرجل ولكن بنصف الأجر وبدأت قضية مساواة المرأة بالرجل فى الأجر وحدثت المطالبة ولم تحدث الإستجابة فقيل لها اسلكى السبيل الذى يؤدى بك إلى غايتك تظاهرى واضربى فتظاهرت المرأة وأضربت وكانت هذه خطوة على الطريق وفى هذه المرة أيضاً لم يستمع لها أحد ولما كان الشيطان فقيه فى الشر وكذلك أتباعه يقودون الانسان إلى حتفه وهو يظن أنه يحسن الصنع وينتقلون به خطوة خطوة ويعملون ليل نهار دون كلل أو ملل فاستدرجوا المرأة وقالوا لها لابد وأن تحولى قضيتك الى قضية سياسية ولابد أن تحصلى على حق الانتخاب ثم حق دخول البرلمان فتحولت القضية من مطالبة بالمساواة مع الرجل فى الأجر إلى مطالبة بالمساواة مع الرجل فى الحقوق السياسية ثم انتقلوا بها إلى المطالبة بالمساواة مع الرجل فى التعليم وجُعلت مناهج الأولاد والبنات واحدة وتخرجت الفتاة من الدراسة الثانوية فقيل لماذا يفرق بين الجنسين فى دخول الجامعة لتنتقل القضية بعد ذلك إلى مطالبة بالمساواة مع الولد فى التعليم الجامعى ودخلت الجامعة لتبدأ قضية الإختلاط وكان هذا هو الهدف الذى يراد من هذه الدورة كلها فحدث الإختلاط فى الجامعة وفى الشارع وبالتبعية تفسخت الأخلاق وأصبحت المرأة رئيسة ووزيرة وعضوة بالبرلمان ... وفى جو الإختلاط رفعت حواجز الأخلاق كلها

وأصبحت الفاحشة هى الأصل فى ذلك المجتمع الغربى وأما دراع الكماشة فكانت تلك النظريات التى نادى بها أساطين الشر من اليهود ماركس وفرويد ودوركايم وفريز ومن عجيب الأمر أن هذه الأمراض بدلاً من أن تستأصل أو تعالج فى موطنها الذى ظهرت فيه استوردها البعض لتطبيقها فى بلاد الإسلام فدرست النظريات على أنها حقائق وتنادى فريق أن لابد وأن نجعل المرأة رسولاً لمبادئنا التحررية ونخلصها من قيود الدين وكان هذا هو الطريق إلى الهاوية وقد تكررت المأساة وانتقل العفن والخراب من هناك إلى هنا .

٣ ـــ فى النظام الديمقراطى يتولى الفساق والعصاة والكفار والنساء والمحاربين لدين الله والمعادين له الولايات العامة والخاصة ويتسلطون بذلك على رقاب المسلمين عن طريق انتخابات مزيفة وحرة كما يقولون ولكن أين الضوابط الشرعية فيها وما هى أهلية من يختار وماهى موازينه وهل علم هؤلاء شروط من سيختارونه. ولا يكفى أن يقال لعوام الناس اختاروا الأمثل أو الأصلح أو من يقدم خدمات اكثر فهذه عبارات كثير من الناس لا يفهم لها معنى نتيجة غربة الحال وغيبة المعانى الشرعية .

٤ ـــ أجمع جميع المسلمين على أنه لا طاعة لإمام ولا غيره فى معصية الله تعالى وقد جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة الصريحة التى لا لبس فيها ولا مطعن كحديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال ﴿ السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره مالم يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ﴾ أخرجه الشيخان وأبو داود .

٥ ـــ يصح للحاكم أن يعزل نفسه لموجب يقتضى ذلك كإخماد فتنة كانت ستشتعل لو لم يعزل نفسه أو لعلمه عن نفسه العجز عن القيام بأعباء الخلافة فلا نزاع فى جواز عزله نفسه ولذا أجمع جميع المسلمين على الثناء على سبط رسول الله ﷺ الحسن بن على رضى الله عنهما بعزله نفسه وتسليمه الأمر إلى معاوية بعد أن بايعه أهل العراق حقنا لدماء المسلمين وأثنى عليه بذلك قبل وقوعه جده رسول الله ﷺ بقوله ﴿ إن ابنى هذا سيد ولعل الله

أن يصلح به بين فئتين من المسلمين ﴾ أخرجه البخارى وغيره من حديث أبى بكرة رضى الله عنه .

٦ ــ ذهب جمهور العلماء الى عدم جواز الخروج على الحاكم والقيام عليه إلا إذا ارتكب كفراً بواحاً عليه من الله برهان فقد أخرج الشيخان فى صحيحيهما عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله . قال ﴿ إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان ﴾ . والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة تدل على منع القيام عليه ولو كان مرتكباً لما لا يجوز إلا إذا ارتكب الكفر الصريح الذى قام بالبرهان الشرعى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أنه كفر بواح أى ظاهر بأن لا لبس فيه وقال القاضى عياض « أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر وعلى أنه لو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر » وقال الحافظ ابن حجر « إنه ــ اى الإمام ــ ينعزل بالكفر إجماعاً فيجب على كل مسلم القيام فى ذلك فمن قوى على ذلك فله الثواب ومن داهن فعليه الإثم ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض » . وقد ذكر صاحب كتاب الإمامة العظمى بالإضافة للكفر والردة بعد الإسلام من أسباب العزل .

ــ ترك الصلاة والدعوة إليها للأحاديث الواردة فى ذلك والتى نهت عن منابذة الأئمة الجورة ونقض بيعتهم وعن مقاتلتهم بشرط إقامتهم الصلاة ومن بين هذه الأحاديث ما رواه مسلم وغيره عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : إن رسول الله ﷺ قال : ﴿ إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن كره فقد برىء ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضى وتابع ، قالوا : أفلا نقاتلهم ؟ قال : لا ما صلوا ﴾ وهذا الحديث فيه التصريح بمقاتلة الأمراء الذين لا يصلون ومعلوم أن المقاتلة هى آخر وسيلة من وسائل العزل .

ـــ ترك الحكم بما أنزل الله كما رواه البخارى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله ﴾ . وفى صور الحكم بغير ما أنزل الله المكفرة فالمسألة تعود الى هذه الصورة من أسباب العزل وهى الكفر والردة . وإذا كانت الأمة تملك حق عزل الخليفة عند وجود السبب الشرعى الداعى لذلك إلا أنه يجب أن يعرف جيداً بأن مجرد وجود السبب الشرعى للعزل لا يعنى بالضرورة لزوم تنفيذ العزل وشرع الله مصلحة كله وحيثما كانت المصلحة الحقيقية المنضبطة فثم شرع الله والأمر يحتاج الى نظر شرعى وواقعى سليم لابد من الرجوع فيه لعلماء الأمة المعتبرين وإزالة المنكر لا ينبغى أن يزال بمنكر أعظم وعزل الخليفة من النهى عن المنكر فيخضع لقواعد وآداب الإنكار .

٧ ـــ يقول تعالى عن نبيه يوسف قال : ﴿ اجْعَلْنِى عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ . إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ قال القرطبى « قال بعض أهل العلم : فى هذه الآية ما يبيح للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر والسلطان الكافر بشرط أن يعلم أنه يفوض إليه فى فعل لا يعارض فيه فيصلح منه ما شاء وأما إذا كان عمله بحسب اختيار الفاجر وشهواته وفجوره فلا يجوز ذلك وقال قوم : إن هذا كان ليوسف خاصة وهذا اليوم غير جائز والأول أولى إذا أمكن على الشرط الذى ذكرناه والله أعلم » وقال أيضاً : « إن يوسف عليه السلام إنما طلب الولاية لأنه علم أنه لا أحد يقوم مقامه فى العدل والإصلاح وتوصيل الفقراء إلى حقوقهم فرأى أن ذلك فرضاً متعيناً عليه فإنه لم يكن هناك غيره وكذا الحكم اليوم لو علم إنسان من نفسه أنه يقوم بالحق فى القضاء أو الحسبة ولم يكن هناك من يصلح ولا يقوم مقامه لتعين ذلك عليه ووجب ان يتولاها ويسأل ذلك ويخبر بصفاته التى تستحقها به من العلم والكفاية وغير ذلك كما قال يوسف عليه السلام فأما لو كان هناك من يقوم بها ويصلح لها وعلم بذلك فالأولى ألا يطلب لقوله عليه السلام لعبد الرحمن لا تسأل الإمارة » فإن فى سؤالها والحرص عليها مع العلم بكثرة آفاتها وصعوبة التخلص منها

دليل على أنه يطلبها لنفسه ولأغراضه ومن كان هكذا يوشك أن تغلب عليه نفسه فيهلك وهذا معنى قوله عليه السلام « وكل إليها » ومن أباها لعلمه بآفاتها ولخوفه من التقصير فى حقوقها فرفضها ثم إن ابتلى بها فيرجى له التخلص منها وهو معنى قوله « أعين عليها » .

٨ ــ نظلم أنفسنا عندما نقيس الإسلام أو نقارنه بغيره من المناهج والفلسفات الوضعية الكفرية وشتان وفارق كبير بين النور والظلام وبين الإيمان والكفر فالحق أبلج والباطل ظلام وعلى الحق نور ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ﴾ [الرعد : ١٧] . وفارق بين من كانوا يرون الإمارة والحكم تكليفاً ومغرماً مع كفائتهم وبين من يراه مغنماً وهو عار من شروط الولاية والحكم ولذلك لا عجب بعد ذلك أن نرى الضنك والشقاء فى كل قطاع من قطاعات الحياة عندما يتولى الكفار والنساء إمرة الخلق ، وكيف يفلحون .

٩ ــ الحاكم أو الخليفة يحكم مدة حياته طالما كان قائماً بشئون الحكم محسناً فى هذا التطبيق وقد اخترناه وفق هذه الضوابط والشروط التى سردناها وليس من أسباب العزل أن يمكث مدة الخمس سنوات فقط كما هو الحال فى النظام الديمقراطى ثم يعزل بعدها بالحتمية واللزوم والنبى ﷺ كان هو حاكم الأمة طيلة حياته ثم جرى العمل على ذلك فى عهد الخلفاء من بده ولا يصح أن تصبح الأمة محلاً للتجريب كل خمس سنوات من أناس لا كفاءة عندهم ولا حظ لديهم من شروط الإمارة والحكم .

الديمقراطيـــة والديكتـاتورية

ويقصدون بالديكتاتورية حكم الفرد وصور الطغيان التى تنجم عندما يتسلط على البلاد والعباد ويستقل بتصريف الأمور ، ونحن نرفض هذه التسميات الوافدة ولا نرضى بالإسلام بديلاً ولا عنه تحويلاً وأعداء الإسلام بعد أن زيّفوا هذه الكلمات بمضمونها ومعناها وروجوا لها فى أوساط المسلمين أستطاعوا التلاعب بجمهرة كبيرة من الناس فمن رفض الديمقراطية قالوا له إذاً أنت ديكتاتورى ومن رفض الإشتراكية قالوا له إذاً أنت رأسمالى وكأنه لا مجال للحق ولا للحقيقة وكأنهم أسقطوا الإسلام من حساباتهم أو أرادوا أن يسقطوه ويسكتوه حتى ينسى الناس إسلامهم ودينهم ثم يخجلون من التلفظ بإسمه أو التلبس بشعائره — وكلمة الديكتاتورية كثيراً ما تذكر فى مقابلة كلمة الديمقراطية وكأنهما طرفى نقيض أحياناً نسمع بعض الديمقراطيين العلمانيين يقولون إن نظام الحكم فى الإسلام نظام ديكتاتورى وفى ذلك يقول الأستاذ محمد قطب فى كتابه شبهات حول الإسلام ص ١٦٤ (ويقولون إن نظام الحكم فى الإسلام دكتاتورى بطبعه لأن الدولة فيه تملك سلطة واسعة ويزيد الأمر سوءاً أنها تملكها بإسم الدين بإسم شىء مقدس له على نفوس الناس سلطان ، فما أسهل ما يغرى هذا السلطان بالدكتاتورية وما أسهل ما تستنيم له الدهماء وبهذا تختنق حرية الرأى ويصبح الخارج على الحاكم عرضة للإتهام بالخروج على الدين — فمن أين جاءوا بهذا القول الغريب على الدين ؟ أمن قول القرآن : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : ٣٨] . وقوله : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ ﴾ [النساء : ٥٨] . أم من قول أبى بكر « فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ؟ » أم من قول عمر : « فإن وجدتم فىّ اعوجاجاً فقوموه » فيقول له رجل من عامة المسلمين : « والله لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناه بحد السيف » ؟ نعم وجد الطغيان بإسم الدين . وما تزال أمثلة من هذا الطغيان تقوم فى بعض البلاد ولكن من ذا الذى يقول إن الدين وحده هو ستار الطغيان فى الأرض ؟ وهتلر ؟ هل كان يطغى باسم الدين ؟ وستالين ؟ لقد اعترفت الصحافة الروسية ذاتها بدكتاتورية

ستالين بعد موته ـــ وقالت إنه كان يحكم روسيا حكماً بوليسياً فظاً لا يجوز أن يكرر أو فرانكو ؟ وما لان فى أو فرانكو ؟ وما لان فى جنوب أفريقيا ؟ وشان كاى شك فى الصين الوطنية ؟ وماوتس تونج فى الصين الشيوعية ؟ كل هؤلاء يطغون باسم الدين ؟ لقد رأى هذا القرن « المتحرر » من سلطان الدين أبشع ديكتاتوريات التاريخ بعنوانات أخرى لامعة لا تقل قداسة عن قداسة الدين فى النفوس . وما يدافع أحد عن الدكتاتورية وما يرضاها إنسان حر الفكر والضمير ولكن استقامة الطبع والفكر تقتضى الإقرار بالحق الخالص دون ميل مع الهوى والشهوات والحق أن كل معنى جميل يمكن استغلاله والتستر وراءه لقضاء المآرب الشخصية وقد ارتكبت باسم الحرية أفظع الجرائم فى الثورة الفرنسية فهل نلغى الحرية ؟ وباسم الدستور سجن الأبرياء وعذبوا وقتلوا فهل نلغى الدساتير ؟ وباسم الدين قام الطغيان حقاً فى الأرض فهل يبرر ذلك أن نلغى الدين ؟ كان هذا يكون مطلباً معقولاً لو أن الدين فى ذاته بتعاليمه ونظمه يؤدى إلى الظلم والطغيان ـــ فهل يصدق ذلك على الإسلام الذى ضرب من أمثلة العدل المطلق ـــ لا بين المسلمين وحدهم بل بين المسلمين وأعدائهم من المحاربين . ما أقربه حتى أولئك الأعداء فى اكثر من حادث واكثر من فترة على مدار التاريخ ؟ إنما علاج الطغيان أن ننشىء شعباً مؤمناً بقدر الحرية التى ينادى بها الدين ويحرص عليها فيصد الحاكم عن الظلم ويقف به عند حده المرسوم ولست أحسب أن نظاماً يهدف إلى ذلك مثل النظام الذى جعل من واجب الشعب تقويم الحاكم الظالم فيقول الرسول ﴿ من رأى منكم منكراً فليغيره ... ﴾ متفق عليه ويقول ﴿ إن من أعظم الجهاد عند الله كلمة عدل عند إمام جائر ﴾ رواه أبو دلود والترمذى إلى أن قال : « طريقكم إذن للتحرر أيها التقدميون ليس إلغاء الدين وإنما هو تعليم الناس هذه الروح الثائرة التى تنفر من الظلم وتقوم الظالمين وإنها فى صميمها لروح هذا الدين . ا . هـ .

أين الشـــورى فى النظـام الديمقراطى ؟

وهناك من يتسائل ويستغرب كيف نطرح مثل هذا العنوان وهناك مستشارون ومجالس نيابية وأخرى للشورى والديمقراطية تختلف كثيراً عن الديكتاتورية فى أخذها بمبدأ الشورى بل لرفعها لهذا الإسم انخدع بعض المسلمين فنادى بالديمقراطية أو قال أحياناً نحن تعيش على هامش الديمقراطية ؟ وقبل أن نفصل الإجابة نطرح عدة تساؤلات ماهى مجالات عمل الشورى ــ ماهى مؤهلات من نستشيره ــ وإذا كنا نقول بوجوبها فهل هى ملزمة للحاكم ؟ ونقول إجمالاً إن الإسلام نظام كامل لم يلحقه نظام وضعى ولم يسبقه قانون بشرى والواجب علينا جميعاً أن ندور مع إسلامنا حيث دار ونزن به الأقوال والأفعال وقول البعض عن الديمقراطية انها تعنى الشورى وأن الحاكم ينتخب ومناقشة رئيس الدولة فلا بأس فهى كلمات مقبولة ولكن أين المعنى الذى يندرج تحت هذه الكلمات وهل هذه المعانى توافق ما جاء فى شرع الله وإن وافقت فهل يصح أن تسمى الأشياء بغير اسمها فنطلق عليها وصف الديمقراطية وبالتبعية نروج للمفهوم الحقيقى للديمقراطية فى أوساط المسلمين ألا فلنتق الله ونعيش بالإسلام وللإسلام وننادى به وليس بشيء سواه . ونسوق كلاماً مختصراً وسريعاً عن الشورى فى الإسلام وما علينا بعد ذلك إلا أن ننظر مدى تطبيق هذه المعانى فى البلدان التى اخذت بالنظام الديمقراطى العلمانى وتزعم ظلماً وعدواناً أنها أخذت بنظام الشورى .

حكمها : فالشورى حق للأمة وواجب على الخليفة فى قول اكثر الكتاب والمحدِّثين وهذا قول جمع من العلماء قديماً وحديثاً قالوا بوجوبها إستناداً لنصوص الكتاب والسنة يقول تعالى ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] . ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : ٣٨] . يقول ابن تيمية « لا غنى لولى الأمر عن المشاورة فإن الله تعالى أمر بها نبيه ﷺ. وكان ﷺ كثير المشاورة لأصحابه فقد شاورهم يوم بدر وأحد وشاور السعدين يوم الأحزاب حتى قال العلماء « لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ وجاء فى تفسير القرطبى » قال ابن عطية : والشورى

من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب » فهل يحدث ذلك فى نظام يفصل الدين عن الدولة ويحكم فيه بغير ما أنزل الله .
وذهب جمع من العلماء إلى استحبابها أو أنها سنة مؤكدة منهم الشافعى وأحمد وابن تيمية .

من المعلوم بداهة والمتفق عليه بين العلماء أن الشورى لا تكون فيما نزل فيه وحى كما اتفقوا على تخصيص عموم قوله تعالى ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ ﴾ . ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ بما لم ينزل فيه وحى ... فهل الشورى فى النظم الديمقراطية تلتفت إلى شرع أو دين وهل الأمر فيه وحى ام لا بل من عجيب الأمر أنهم فى بعض البلدان العربية التى تركت الحكم بما أنزل الله وأستبدلته بنظم وضعية وقوانين طاغوتية أحياناً يجرون الإستفتاءات وسط الناس ويستشيرون نوابُ الشعب فى تطبيق شرع الله وهذا لا يجوز فما أنزل رب العزة جل وعلا حكمه على خلقه لكى نتشاور فيه أنطبقه أم لا ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة : ٤٩] . ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [النساء : ٦٥] . والحكم والخلافة إنما وضعت لتطبيق الدين وسياسة الدنيا به ولذلك خابوا وخسروا عندما تشاوروا هل يطبقون شرع الله أم لا وخابوا وخسروا ثانياً عندما راغوا روغان الثعالب فلم يطبقوا دين الله رغم مطالبة جماهير الشعب قاطبة مرات كثيرة بذلك حتى بحت الأصوات فأين ما ينادون به من ديمقراطية واحترام لرأى الأكثرية فلاهم استقاموا على شرع الله ولا هم أيضاً طبقوا مناهجهم الخربة نزولاً على رأى أسيادهم فى الشرق والغرب الذين يحاربون الله بكل ما يملكون ويواصلون الليل بالنهار فى ذلك فانتقلوا بذلك من باطل إلى باطل ومن طغيان إلى طغيان وصحيح ان اكثر حالات الشورى التى تمت فى عهده ﷺ كانت فى أمور الحرب ولكنها لم تقتصر على ذلك بل اشتملت أيضاً كثيراً من الأمور الدنيوية الأخرى ذات الأهمية والخطر بالنسبة للدولة ومستقبلها والأمور الشرعية التى لم يرد فيها نص وكان الغرض من المشاورة فى مثل هذه المسائل هو البحث عن النص واستطلاع الرأى لأنه ربما يكون فى المسألة نص خفى على بعضهم دون بعض أو تكون مشاورتهم

بقصد الوصول الى فهم صحيح لنص معين اختلفت الأنظار فى فهمه فاذا وضح النص وصح فلا مجال للتشاور بعد ذلك بل التسليم المطلق والإنقياد لأمر الله ورسوله ولذلك كان من سنة الصحابة رضوان الله عليهم سؤال النبى ﷺ عند إرادة طرح وجهات نظرهم فى مسألة ما هل هو أمر منزل لا مجال فيه للرأى أم لا ؟ نحو قول الحباب بن المنذر « هل هو منزل أنزلكه الله ؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ » ونحو كلام السعدين يوم الخندق وغيرهما ــ ولو قالوا هل نطبق هذا الحد الثابت فى الكتاب والسنة أم لا ؟ لكانت كفراً وردة عن دين الله وليست شورى فلتسمى الأشياء بإسمها ولأن الإسلام هو الإستسلام والإذعان والإنقياد لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ وطالما أن الإسلام فى طيات الكتب على الرفوف فالظلم والإستبداد سيبقى وإن أنشىء هناك مجالس صورية للشورى تنتظر الإشارة من رؤسائها فقط فتقر الذى يهْوون كما هو واقع اليوم . يقول صاحب كتاب الإمامة العظمى ص ٤٥٥ (أما دعاة الديمقراطية ومحاكاة الغرب فى كل شىء ومحاولات التقريب بين الإسلام والكفر المتمثل فى وثنيات الغرب المعاصرة فهذا هو طلب المستحيل حقاً لأنه لن يجتمع الحق مع الباطل أبداً وإن التقيا فى بعض الجوانب وتلك سنة الله فى خلقه فالإسلام شرع الله ومنهجه ومضمونه عبادة الله وحده لا شريك له أما الديمقراطية فشرع الكفار ومنهجهم ومضمونها عبادة البشر بعضهم لبعض ووسيلتها الأولى فصل الدين عن واقع الحياة العملية وشتان بين الكفر والإيمان ولهؤلاء نقول صححوا إيمانكم ومعرفتكم بالله وشرعه أولاً ثم بعد ذلك تعالوا لتعالجوا مثل هذه القضايا . فإن فى شريعتنا . ولله الحمد الغناء كل الغناء والإكتفاء كل الإكتفاء ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ . م. هـ.

وسواء كانت الشورى واجبة أو مستحبة معلمة أو ملزمة فلا ينبغى أن ننسى شروط الحاكم الواجب توافرها فيه من العلم والعدل والورع والأمانة وأن يكون مجتهداً أو يصلح أن يولى قاضياً فمن كانت فيه هذه الشروط فمن المؤكد أنه لن يتأخر عنها ساعة خاصة فى مهمات الأمور بل هو الذى سيطلب الإستشارة من تلقاء نفسه دون أن تفرض عليه لما لها من الفضل وسداد الرأى وأنها أقرب طريق للوصول إلى الحق . وهو فى ذلك يستن بسنة رسول الله ﷺ ويتقرب الى الله بمشاورة أهل العلم

والدين وذوى الخبرة والاختصاص حتى وإن كانت الشورى مستحبة وإذا ظهر له الحق اتبعه لأنه يعلم أنه سيقف بين يدى ربه ولأن يكون ذنباً فى الحق خير من أن يكون رأساً فى الباطل ولذلك فهو يعمل بالصواب الذى يظهر من خلال الشورى وما فيه مصلحة لا بهواه وشهوته . وإذا كان الحاكم مجتهداً على هذا النحو وخالف رأيه الأكثرين وأصر على رأيه فعلى الرعية السمع والطاعة له فى غير معصية لله جل وعلا ــ فدين الله ليس دين أكثرية ولكن هو دين أعرف الحق تعرف أهله وأعرف الباطل تعرف من آتاه ــ والذى يلفت الإنتباه حقاً فى هذا المقام هو تشدد أكثر الكتاب المحدثين فى هذا الموضوع مع أنه من المعروف عنهم فى الغالب التساهل وتتبع الرخص وغض الطرف عن كثير من المسائل الإلزامية الواجبة بالنصوص الصريحة ولعل السبب فى ذلك هو ما ابتلوا به من حكام ظلمة لا علم سديد عندهم يدلهم على الخير والصواب ولا خوف من الله وورع يجعلهم يحرصون على إصابة الحق والإهتمام بشؤون رعاياهم ويجعلهم يرفعون الظلم والإستبداد والتعسف عمن تحت أيديهم وقد حاول بعض من انبهر بديمقراطيات الغرب الوثنية أن يثبت مثل هذا الموضوع حتى يقال إن ما عندكم فى الديمقراطية هو عندنا فى الإسلام أو فى ديمقراطية الإسلام كما يحلو لبعضهم أن يسميها ومن ثم فلا فرق بيننا وبين الغرب !! وشتان بين الشورى فى الإسلام والديمقراطية عند الغرب ــ ولا شك أن البلايا الموجودة سببها غياب الإسلام عن التطبيق فى الواقع فالعلاج الصحيح إذاً هو السعى إلى قيام الخلافة الإسلامية الصحيحة التى تمثل الإسلام تمثيلاً صادقاً ومن ثم فإنها سترفع مشكلة الإستبداد والظلم وستسد كل باب للإتهام والإفتراء على الإسلام وتلقم المعاند الحجر وتقنع طالب الحق بالواقع لا بالكلام وسواء تمت الشورى بعد ذلك فى المسجد أو أنشأنا مكاناً خصيصاً لها أو اختارت الأمة مستشارين أو مجلساً للشورى فلا مانع من ذلك طالما أنه تم على النحو الذى يلائم ظروفها ويحقق مقصود الشورى ومعرفة رأى الأمة ووضع القوانين المفصلة والمنظمة للشورى أمر لا غبار عليه طالما سار الأمر وفق قواعد الشريعة ومبادئها وأحكامها فى نظام الحكم ولابد فى ذلك من اشاعة المفاهيم الإسلامية والأخلاق الإسلامية وتربية الأفراد على معانى العقيدة ومخافة الله وتقواه فى السر والعلن فبهذا يقف الإنسان عند الحدود الشرعية ويقوم بواجبه على الوجه المرضى

سواء أكان هذا الواجب فى انتخاب أعضاء مجلس الشورى أو فى قيام هؤلاء بإبداء أرائهم أو فى إبداء آحاد الناس أرائهم فيما يرونه من وجوه المصلحة .

أين الحرية الحقيقية فى النظام الديمقراطى ؟

الحرية كلمة براقة لها عذوبة فى الأفواه ولذة فى الأسماع يتغنى بها الشعراء ، نادى بتحقيقها المصلحون ووضعت المخططات للحصول عليها والتخلص من أسر العبودية وبذلت الأمم الأموال والأرواح لتحقيقها وجعلت اليوم الذى حصلت فيه عليها عيداً ولا تجد أمة تستعذب طعم العبودية وتمقت الحرية ولكن دائرة العبودية التى يهرب منها البشر دائرة ضيقة يظنون أنهم إن تخلصوا منها فقد تحرروا وواقع الأمر ليس كذلك فتراهم يرسفون فى قيود العبودية المقيتة وهم لا يشعرون ويحتفلون بأعياد الحرية وهم غرقى فى أسر العبودية ومن هنا كان لابد من ميزان وضابط نزن به الحرية الحقيقية من الخداع والزيف وخصوصاً فى وقت كثر فيه الخداع والتلبيس ورفعت فيه الشعارات والهتافات والصيحات من أناس خفا عليهم الكلام فتكلموا .

ضابط الحرية الحقيقية :

التحرر الحقيقى يعنى الخضوع لله-وحده وأخذ منهجه دون سواه والتحاكم الى شرعه دون بقية الشرائع ، والحرية فى الإسلام تقرر فى صورة العبودية وهى أن تُعبد نفسك لله وحده فى توجهات قلبك وعقائده وفى مسار فكرك فى أقوالك وأفعالك وفى القوانين التى تهيمن على المجتمع ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢] . ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] . بل المشاعر والأحاسيس والعواطف والوجدانات والخلجات إنما تخضع لهذا الميزان ولهذا الضابط أيضاً ويتخوف المسلم على نفسه منها إن خالفت كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ وينزلها منزلة الوساوس التى لأن يخر من السماء إلى الأرض لكان أهون عليه من أن يجدها أو يشعر بها روى أبو هريرة رضى الله عنه قال : « إن أناساً من أصحاب

رسول الله ﷺ سألوه إنا نجد فى انفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال أوقد وجدتموه قالوا نعم قال ذاك صريح الأيمان وأورد الإمام مسلم فى كتاب الإيمان باباً بعنوان » « بيان الوسوسة فى الايمان وما يقوله من وجدها » فلم يجرؤ احد من الصحابة أن يصرح بأعيان تلك الخواطر التى اعترتهم حتى بلغت منهم شدة الحذر من ذلك مبلغاً يفسر لنا حديث ابن عباس عند أبى داود قال : « جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يارسول الله إن أحدنا ليجد فى نفسه (يعرض بالشىء) لأن يكون حُمقه إليه من أن يتكلم به ــ فهؤلاء الأفاضل الكرام رضوان الله عليهم جميعاً كانوا يقيسون كل شىء بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ وهذا هو ميزانهم حتى فيما يتعلق بمشاعرهم التى قدلا ينفك عنها البشر إذا غفلوا عن ذكر ربهم فأين هذا من أصحاب الأدب الرخيص الذى يعبرون فيه عن كل ضياع ويروجون به للفسق والرذيلة ويطلقون عليه بعد ذلك اسم الأدب المكشوف أو الأدب الغريزى أو أدب الجنس ويطلقون فيه على هذه الوساوس الشيطانية إسم ضدق الحس وعمق الشعور والوجدان ــ والناس حين يرفضون عبودية الله فسيعبّدون أنفسهم لا محالة إلى مخلوقات مساوية لهم أو أقل منهم شأناً لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع ولذلك يقول النبى ﷺ : ﴿ تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميلة إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط تعس عبد القطيفة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش ﴾ [رواه البخارى] . وهذا دعاء عليه وبيان أن الإنسان إما أن يكون عبداً لله وإما أن يكون عبداً لهذه المخلوقات والعبادة هى كمال الحب مع تمام الخضوع والذل فإذا اجتمع الأمران أطلق وصف العبادة وإلا فقد يطيع زوجته أو امرأة ويخالف أمر ربه فيطلق على الأمر وصف المعصية وقد قال الله تعالى على لسان ابراهيم ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً يَا أَبَتِ إِنِّى أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً ﴾ [مريم : ٤٤] . ومن عجيب الأمر فى زمن امتلأ بالعجائب لما انحرف عن منهج العبودية لله سبحانه أن نجد من يطلق على المغنين والمغنيات والفاسقين والفاسقات اسم معبود الجماهير ومعبودة الجماهير ولذلك نحتاج إلى إيمان مبصر يغرس فى القلوب ويحررها من العبودية للطواغيت والأصنام حجراً كانت أم بشراً . ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ

﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

صور ومظاهر للحـرية الحقيقية :

ذهب ربعى بن عامر رضى الله عنه إلى رستم قائد الفرس المشهور وكان الأخير قد طلب أن يعرف ما هو الإسلام فلما قدم عليه ربعى قال له من بعثكم فقال ربعى : « ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام » فهذا هو المسلم وهذه هى كلماته عندما يخلص العبودية لربه جل وعلا عبارات تنطق بالنور وتعبر عن صور ومظاهر الحرية الحقيقية لا الحرية الزائفة التى يتشدق بها الناس وقد وقعوا أسرى الفلسفات والمناهج الكفرية الخربة والعقائد الباطلة واستعبدهم البشر الذين نصبوا من أنفسهم أرباباً مع الله ووضعوا هالة من الأساطير حولهم وزعموا أن الدماء الزرقاء تجرى فى عروقهم كهذا الفرعون الذى قال للناس ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ [النازعات : ٢٤] . ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ [الزخرف : ٢٤] . وقال : ﴿مَا أُورِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر : ٢٩] . فما كان من قومه إلا أن أستجابوا له ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف : ٥٤] . وأحيانا كانت تصرف العبادة من الناس لأناس صالحين لم يريدوا مثل هذا التقديس ولا أن يرفعوا فوق مرتبتهم كبشر لا يملكون لانفسهم ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً وكانوا يردون هذا الغلو على أصحابه ومثلهم الأعلى فى ذلك رسول الله ﷺ فعندما آتاه البعض يمدحه قال : ﴿لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله﴾ وذلك لأن سبب شرك النصارى هو الغلو فى المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام والأمر عند أهل الكتاب لم يقتصر على الغلو فى عزير والمسيح وصرف العبادة لهما من دون الله وإنما حدث غلواً أيضاً فى الأحبار والرهبان ولذلك يقول تعالى ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة : ٣١] .

والإسلام جاء ليحرر العباد من عبودية العباد إلى عبادة الله وحده وهذا التحرر يجب أن يشمل أول ما يشمل مكب العبد ولأن قلب ملك مؤمر ﴿ وفى حديث من النعمان بن بشير الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا. يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه ألا إن لكل ملك حمى ألا وان حمى الله محارمه ألا وإن فى الجسد مضغه إذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب ﴾ رواه البخارى ومسلم . والقلب هو محل الإعتقاد وموضع الهم والإرادة والنية وصلاح الإعتقاد بمعرفة العبد بربه وصفاته والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره والإخلاص فى ذلك لرب العزة جل وعلا ﴿ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ أَلَا للهِ الدينُ الخَالِصُ ﴾ [الزمر : ٢] . وبتحقيق معنى الشهادة ﴿ لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴾ يحقق العبد العبودية لله ربه ومولاه .

تحرير القلب يجب أن يتم بتحريره من الخوف من الآلهة المزيفة والطواغيت والظلمة ، والطواغيت يحاولون فى كل عصر أن يغرسوا فى قلوب العباد الرهبة من أوليائهم وانـدادهـم وقد قـص علينـا ربنا قول إبراهيم فى محاجته لقومه قال : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨١] . ولما قال موسى وهارون عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام ﴿ إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾ [طه : ٤٥] . كانت الإجابة من رب العزة ﴿ لَا تَخَافَا إِنَّنِى مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه : ٤٦] . والشيطان يخوف عباد الله المخلصين أولياءه الضالين ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] . التوكل على الله فلا يتحرر العبد حقيقة إلا إذا كان تعلقه بالله وتوكله عليه والأنبياء والمرسلون هم أعظم الخلق توكلاً على الله عز وجل ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [هود : ١١٣] . ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] . وهذه الكلمة على وجازتها جمعت معانى القرآن كله وقد اقترنت فيها العبادة بالتوكل وهذه

الأمة تعود إلى ربها وتتوكل عليه ينزل سبحانه لهم نصره ويحل عليهم رضوانه كما حدث مع سلفهم الصالح يقول ربنا جل وعلا عن غزوة الأحزاب : ﴿ إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ﴾ [الأحزاب : ١٠] . كان الصحابة يومئذ على الرغم من هذا الهول وهذه الجحافل الشركية الجرارة التى أتت من كل حدب وصوب كلهم توكل على ربهم ﴿ وَلَمَّا رَأَى المُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً ﴾ [الأحزاب : ٢٢] . وكانت نتيجة المعركة ما ذكره الله تعالى ﴿ وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً ﴾ [الأحزاب : ٢٥] . وكان هذا هو موقفهم دائماً من قبل ومن بعد ففى غزوة أحد خرجوا إلى حمراء الأسد صبيحة يوم أحد على ما بهم من جراح وآلام نزولاً على أمر الله وتوكلاً عليه ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] . وكان الحكام الصالحون يربون الجنود على المفاهيم الإسلامية فكانوا ينتقلون من نصر إلى نصر ومن عز إلى آخر كخالد بن الوليد الذى سمع جندياً يقول قبل معركة اليرموك ما أكثر الروم وأقل المسلمين فصاح فيه خالد بل ما أقل الروم وأكثر المسلمين ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ ﴾ [البقرة : ١٤٩] . ولما أخذ قائد الفرس يتهدد المسلمين ما كان من القائد المسلم إلا أن قال : ﴿ جئناكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ﴾ ثم ما الذى حدث بعد ذلك هل استقامت سيرة الأمة على ما استقام عليه أوائلها كلا وجهوا الوجوه إلى روسيا تارة وإلى أمريكا تارة ثانية وإلى مجلس الأمن وهيئة الأمم وسائر اللعب اليهودية فتوالت الهزائم . وما نزل بلاء إلا بذنب كما قال على بن أبى طالب ــ « وسلطت سيوف أعداء الله المجرمين على الأمة التى ضلت عن دينها ويوم تعاود دينها سيعود لها عزها وتمكينها بإذن الله تعالى فهناك قوة أعظم وأكبر من قوة الدول العظمى يمكنها أن تغير مسار المعارك والحروب » ﴿ وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾ [البروج : ٢٠] .

الحريــات الزائفـــة فى النظـام الديمقراطـى

تنص النظم الديمقراطية على حق الشعوب فى الحرية وإعطاء حرية العقيدة والرأى والتملك والحرية الشخصية للأفراد على إختلاف اتجاهاتهم ومذاهبهم وتحمى هذه الحريات ولكن بشرط أن لا تستخدم هذه الحرية للتخريب وإشاعة الفتنة والفرقة بين الناس ــ أما إذا استخدمت الحريات لهذا الغرض فإن هذه القوانين تمنع هذه الحرية وتضرب على أيدى مستغليها لذلك الغرض التخريبى الذى يؤدى فى النهاية إلى هدم النظام القائم . وهذه هى معانى الحرية وهى عبارة عن كلمات مجملة لابد من تفصيلها وتوضيح ما تنطوى عليه من معان ومخالفات لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ وما آل إليه واقع الحال بسبب تطبيق هذه الكلمات ففى ظل النظام الديمقراطى أصبح البعض يطعن فى الرسالة ويكفر ويرتد وينشر المناهج الكفرية الخربة فى وسط المسلمين تحت شعار حرية الرأى والتعبير . ويتملك المال بأى طريق حتى ولو بالربا ولا إعتراض عليه فى النظم الديمقراطية طالما أنه لم يتملكه بالإكراه .

بل ويزنى ويُزنى به عملاً بالحرية الشخصية ولا عقوبة إذا وقعت الفاحشة بالتراضى بين الرجل والمرأة وقد قرأت خبراً فى جريدة الوفد مؤداه أن فتاة ذهبت إلى القضاء تشتكى شاباً زنى بها فذهب هو والمحامى وأقر بالزنى بها ولكنه قال إنه تم برضاها وكأنه كان يجيد الإفلات من القوانين الوضعية ومعلوم أن الإقرار هو سيد الأدلة ــ ولاشك أنها حريات خاطئة وغير عملية وكلمات الحرية حين أطلقت كانت كلمات عامة مطلقة بمثابة السيارات التى تنطلق دون فرامل وإلا فمن الذى يحدد النسب والشرط الذى وضعته النظم الديمقراطية وهو عدم إشاعة الفتنة والفرقة أصبح يستخدم أسوأ استخدام فى الصد عن سبيل الله ومنع الحق وإعطاء الفرصة لكل باطل وكفر أن يطل برأسه تعبيراً عن نفسه وترويجاً لما هو فيه وعليه من انحراف وأصبح المحافظة على النظام العلمانى هو الغاية حتى وإن كانت هذه الحرية على حساب دين الله تبارك وتعالى ــ وقد حاول الغرب الإجابة على السؤال بتحديد نسب الحرية دون جدوى حتى يومنا هذا فتارة يقولون لا ينبغى أن تصل الحرية إلى

حد الفوضى أو أنها لا ينبغى أن تكون على حساب الآخرين أو أنها تنتهى عند معارضة مصالح الآخرين أو حرياتهم ، تقول البروتوكولات عن المبادىء التى رفعتها فرنسا والتى يسمونها بأم المبادىء التحررية فى العالم أجمع (حرية ــ مساواة ــ إخاء) (كنا أول من اخترع هذه الكلمات التى أخذ العميان يرددونها دون تفكير) وهذه المبادىء عبارة عن كلمات جوفاء متناقضة روج لها اليهود لضرب الدين والعقيدة وأصبح اليهود بمقتضاها يمارسون أنشطتهم كإنسانيين وأصبح الدين أمراً شخصياً فالحب والإخاء يكون فى سبيل الوطن أو القومية وأصبح لا فرق بين مسلم وكافر وكانت الحريات على قدم المساواة بين الناس جميعاً ليس فقط لمن أراد أن يرقص ويثير الفواحش وينشرها على الملأ بل لمن وصف دين الله بأنه رجعى ومتخلف ومن التزم به متطرف وعنده هوس دينى ، ومن عجيب الأمر وفى الوقت الذى تعطى فيه الحريات لكل كافر ومنحل وأصبح فيها الحبل على الغارب نجد تضييقاً على المسلمين وحرباً هنا وهناك بل وفى فرنسا التى رفعت المبادىء الإنسانية والتحررية فقد رأينا كيف قامت الدنيا ولم تقعد بسبب إرتداء الفتيات للحجاب هناك وإبادات جماعية للمسلمين تدور فى روسيا على يد هذا الخبيث (جورباتشوف) الذى أطلق الحريات كما يقولون هنا . وكأن الإنسان إذا رقص أو زنى فى النظم الديمقراطية فهذه حرية شخصية أما أن يطلق لحيته أو تتجلبب المرأة فهذه هى الرجعية والتخلف ولابد من منع اللحية والنقاب . فهل يقصدون بالحرية التفلت من شرع الله وهدم دين الله يقول أحد القادة العرب : « لابد أن نجعل المرأة رسولاً لمبادئنا التحررية ونخلصها من قيود الدين واستجابت بعض النسوة وخرجت تهتف وتغنى « أعطنى حريتى أطلق يدىّ » وأصبح من الكلمات الدارجة على الألسنة قول البعض « كل إنسان حر » أى فى أن يفعل ما يشاء ويقول ما يريد دون رادع ، وسمعنا أيضاً عمن يسمى « بأصحاب الفكر الحر المستنير » وغيرها من الكلمات التى زخرفوا بها الباطل والضلال .

حـــرية الفكـــر

حرية الفكر لدى التقدميين تعنى الإلحاد وإذا كان الإسلام لا يبيح الإلحاد فهو إذن لا يبيح حرية الفكر على هذا النحو الذى تطالب به هذه النظم المارقة وما حدث من الكنيسة فى أوربا من خنق لحركة العلم وتحريق العلماء وتعذيبهم وفرض الخرافات والأكاذيب على الناس باسم كلمة السماء الأمر الذى ولد عندهم الدعوة لحرية الفكر وفصل الدين عن الدولة ، هذا الأمر الذى حدث فى أوربا ماحاجتنا نحن إليه وما علاقة الإسلام به وليس فى العقيدة إشكال يحير الذهن فالله خالق كل شيء وإليه المرجع والمآب يحكم سبحانه لا معقب لحكمه ويقضى ولا راد لقضائه . أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وله الأسماء الحسنى أمر عباده أن يسلموا وجوههم له ﴿ أَلَا لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ ﴾ وسخر لهم الكون من حولهم يأخذون بأسباب التطور ويقيمون حضارة على منهج العبودية لله فى أرضه وبحيث تتطابق السنن الشرعية مع السنن الكونية ـــ وليس فى الإسلام رجال دين كالذين كانوا فى أوربا فالدين دين الله ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ﴾ والناس إما عالم أو متعلم ولا ينبغى لأحدهم أن يكون إمعة ينساق وراء كل ريح وأكرم الناس عند الله أتقاهم سواء كانت وظيفته مهندساً ومدرساً أو عاملاً ولا واسطة بين الخلق وخالقهم إلا واسطة التبليغ ﴿ فمن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم ﴾ . والدين ليس حكراً لأحد ولا لهيئة وإنما هو لمن يحسن فهمه وتطبيقه حتى لو لم يتخرج من الأزهر ولا يصح لأحد أن يتكلم فى دين الله بغير علم ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْىَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَالَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] . وباب الإجتهاد مفتوح لمن حصل أدوات النظر فى كتاب الله وفى سنة رسول الله ﷺ وكانت عنده الأهلية فى ذلك ومن لم يكن كذلك فإنه يرجع لعلماء الأمة المعتبرين لمتابعة فهمهم لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِى الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء : ٨٣] . ولكل علم عالم فكما أن للهندسة علماؤها وللطب علماؤه

كذلك الأمر بالنسبة لدين الله ـــ والأزهر بوصفه معهداً علمياً دينياً ليس سلطة تحرق العلماء أو تعذبهم أو تفرض الإتاوات والخرافات كما فعلت الكنيسة بخزعبلاتها . بل لو أخطأ أحد علماء الأمة لوجب رده وكل إنسان يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ وقد رأينا كيف قال كثير من العلماء علماء الأمة إذا رأيتم قولى يخالف قول رسول الله ﷺ فخذوا بقول رسول الله ﷺ واضربوا بقولى عرض الحائط . ونحن عندما ننادى بتطبيق شرع الله والرجوع لدين الله فإننا نعنى بذلك أن نصبغ بصبغة الإسلام أفراداً وجماعات فى السياسة والإقتصاد والإجتماع والأخلاق وحينئذ ستظل الهندسة بيد المهندسين وشئون الطب في يد الأطباء وشئون الإقتصاد فى يد الإقتصاديين ... الخ . بشرط أن تستقيم فى ذلك كله على شرع الله ولا تصطدم فى معنى من معانيه بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ . وليس فى العقيدة الإسلامية ولا النظام الإسلامى ما يقف فى طريق العلم المبنى على أسس سليمة والعلم الصحيح لا يتعارض مع عقيدة المسلم فى أن الله هو الذى خلق كل شيء ولا يتعارض مع دعوة الإسلام للناس أن ينظروا فى السماوات والأرض ويتفكروا فى خلقها ليهتدوا إلى الله وقد اهتدى إلى الله كثير من علماء الغرب والشرق الملحدين أنفسهم عن طريق البحث العلمى الصحيح ـــ فهل يصح بعد ذلك أن ننادى بحرية الإلحاد والكفر والإنحلال الخلقى والفوضى الجنسية بغير رادع تلك هى حقيقة المسألة وليس الجانب الفكرى إلا ستاراً يغطون به عبوديتهم للشهوات ثم يزعمون أنهم أحرار الفكر وليس الإسلام مكلفاً أن يطيع العبيد الذين أسرفوا على أنفسهم وأسرتهم واستعبدتهم شهواتهم والحرية الحقيقية كما نفهمها هى تحرير الفكر من الخرافة والشرك والشعوذة وتحرير الناس من الطغيان وهذه وتلك يملكها الناس فى ظل الإيمان بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً فما الهدف الذى يريد الديمقراطيون تحقيقه إذن ؟

الخبر الصادق وإشاعة الفاحشة

أصرت كثير من الصحف ووسائل الإعلام على تخصيص جانب من مساحتها وجزء من جهودها لتتبع هذه الفواحش والقاذورات ونشرها على الملأ . يفعلون ذلك ويظنون أنهم يحسنون الصنع لتعريتهم الحقيقة كما يقولون وفضح بؤر الفساد وعذرهم فى ذلك صدق الخبر وحرية التعبير والنشر ، ونذكر الجميع الذين ينشرون الجرائم الخلقية والذين يقرون نشرها نذكرهم بأن الله محاسبهم على جريمتهم هذه ولهم عذاب أليم وهذا العذاب دنيوى كما هو أخروى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِى الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِى الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى الدُّنْيَا والآخِرَةِ واللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور : ١٩] . ومن العذاب الدنيوى أن يجلد من ينشر فاحشة لا يستطيع أن يقيم الأدلة والبراهين على ثبوتها ــ والبينة على من أدعى ــ ولذا شرع الإسلام حد القذف فإذا ما أتهم شخص امرأة بالزنا ــ مثلاً ــ وليس لديه أربعة شهود فيقام عليه الحد فيجلد ثمانين جلدة . والقاذورات والخبائث يجب أن تستتر ولا تنشر وخصوصاً إذا كان مرتكبوها غير مشهورين بذلك . ونشر الفواحش على هذا النحو من شأنه أن يغرى ويجرىء الأبرياء والأصحاء بمقارفة الجريمة وهذا ما ضجت منه المجتمعات الغربية والذين ينشرون هذه الجرائم أنفسهم يعلمون ما تحدثه الأفلام التى تعرض الجريمة من نشر للإجرام وترويج الصحف لا يكون بمثل هذا العمل غير المشروع ولا بنشر مثل هذه الجرائيم وليس معنى ذلك الا يعاقب مقترفوا هذه الجرائم وألا يؤخذ على أيديهم وإنما نريد أن لا تنشر على الملأ وتكتب فى الصحف والمجلات ولا شك أن الذين يقترفون الفواحش آثمون والفواحش كلها نجاسات وقاذورات وخبث ودنس والذين يشيعون الفاحشة وزرهم عظيم عند الله فليتقوا الله ربهم وليخشوا عذابه وأليم عقابه وليعلموا أن الكلمة أمانة ويجب أن تستخدم فى الإصلاح لا فى الإفساد وليحذروا سبيل قوم عناهم الله بقوله ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى أَحَدُهُمْ سَعَى فِى الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ والنَّسْلَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ [البقرة : ٢٠٥] . فاتقوا الله فى أنفسكم ، واتقوه فى أولادكم وبناتكم ، واتقوه فى مجتمعاتكم .

ضوابط وحدود لحرية الرأى

فإبداء الرأى له حدود وضوابط لابد من مراعاتها وإلا فالحبل لا يصح أن يطلق على الغارب ولابد من نية وصحة أو إخلاص ومتابعة ومن هذه الضوابط :

١ ــ أن يكون قصد صاحبه بذل النصح الخالص للخليفة أو الحاكم أو المسئول ففى الحديث الصحيح الذى رواه الإمام مسلم أن النبى ﷺ قال : ﴿ الدين النصيحة ثلاثاً قلنا لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم ﴾ فلا يجوز للفرد أن يقصد فى بيان رأيه فى تصرفات الحكام لتشهير أو تكبير سيئاتهم أو إنتقاصهم أو تجرىء الناس عليهم أو نحو ذلك من المقاصد الباطلة التى لا يراد بها وجه الله ولا الخير للمنصوح ولا المصلحة للأمة .

٢ ــ أن يكون بيان المسلم لرأيه فى تصرفات الحكام على أساس من العلم والفقه فلا يجوز أن ينكر عليهم أو ينتقصهم فى الأمور الإجتهادية التى لا نص فيها لأن رأيه ليس أولى من رأيهم مادام الأمر اجتهادياً .

٣ ــ لا يجوز للأفراد إحداث الفتنة ومقاتلة المخالفين لهم بالرأى إذا لم يأخذوا برأيهم مادام الأمر يحتمل رأيهم ورأى غيرهم ويراعى فى ذلك الضوابط الشرعية وذلك لأن شرع الله مصلحة كله وحيثما كانت المصلحة الشرعية المنضبطة فثم شرع الله ــ ودرأ المفاسد مقدم على جلب المصالح ــ وإختيار أخف المضرتين دفعاً لأعلاهما وتفويت أدنى المصلحتين استجلاباً لأعظمها وما خاب من استخار الخالق واستشار المخلوق وكل هذا يحتاج إلى بصيرة بالشرع والواقع .

٤ ــ لا يجوز التشهير والطعن والسباب وفاحش الكلام والإفتراء والتضليل بحجة إبداء الرأى فليس من حق أحد أن يشيع الفساد بحجة إبداء الرأى ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الإسراء : ٥٣] .

وقد ورد فى كتب أهل العلم التحذير من آفات اللسان وهل يكب الناس على وجوههم أو قال النبى ﷺ : ﴿ على مناخرهم إلا خصائد ألسنتهم ﴾ . [ابن ماجه والترمذى والحاكم وصححه على شرط البخارى ومسلم] .

٥ — لابد من العدل فى الغضب والرضا والعدل واجب حتى مع الكافر ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعدلوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ [المائدة : ٨] . ولابد أيضاً من الحذر من الفجر فى الخصومة فهى من خصال المنافقين وأبغض الرجال عند الله الألد الخصم أى الذى يفجر فى خصومته .

٦ — إبداء الرأى لا يتم على وجهه الصحيح إلا بتربية الأفراد على معانى العقيدة الإسلامية ومخافة الله وتقواه سبحانه فى السر والعلن وقيام الحاكم بمشاورة أهل الحل والعقد لا يعنى أن غيرهم من أفراد الأمة لا حق لهم فى إبداء آرائهم فى شؤون الحكم وتصرفات الإمام فالواقع أن لكل فرد أن يبدى رأيه فيما يرى فيه المصلحة أو إزالة المفسدة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من صفات المؤمنين والولاية المنعقدة بينهم بسبب ذلك يقول تعالى ﴿ وَالمُؤْمِنُونَ والمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ ﴾ [البقرة : ١٤٣] . ويقول رسول الله ﷺ فى الحديث الصحيح المشهور ﴿ من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الأيمان ﴾ والقيام بهذا الواجب يستلزم تمتع الفرد بحق ابداء الرأى بالمعروف الذى يأمر به وبالمنكر الذى يريد تغييره وهذا الحق للأفراد متمم للشورى وبه يعان الحاكم على معرفة الصواب وتجنب الخطأ فقد يفوت أهل الشورى بعض الأمور التى يعرفها غيرهم من أفراد الأمة وعلى هذا فلا يجوز للحاكم أو لغيره من أولياء الأمور الإنتقاص من هذا الحق للأفراد كما لا يجوز للأفراد التنازل عنه أو تعطيله لأنه حق أوتوه من الشرع ليتمكنوا من آداء ما افترض الله عليهم من واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولهذا كان الحكام الصالحون يربون المسلمين ويحثونهم على إبداء الرأى وقد حدث أن قال رجل للفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوماً « اتق الله يا

عمر » فما كان من عمر إلا أن قال « ألا فلتقولوها فلا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لم نسمعها » . وفى خطبة لأبى بكر الصديق رضى الله عنه قال « فإن أحسنت فأعينونى وإن زغت فقومونى » . والبون شاسع والفارق كبير بين الحرية المضبوطة بشرع الله وبآداب الإسلام وهذه الحريات والهلاميات فى النظام الديمقراطى .

حريـــة التملـــك

يقول تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ [البقرة : ١٤٣] . وهذه الوسطية متحققة فى كل ناحية من نواحى الحياة ومنها جانب التملك فبينما تمنع النظم الإشتراكية الإلحادية التملك وتقف الرأسمالية فى الجانب المقابل فأطلقت حرية التملك بلا قيد أو شرط إلا الغصب والإكراه نجد أن الإسلام قد راعى الفطرة التى أودعها الله فى نفوس عباده وحقق العدل والمصالح الحقيقية للبلاد والعباد فى نظام التملك فلا بأس أن يتملك الإنسان الملايين ولكن عليه أن يأخذ المال من حله وأن يضعه فى حقه والمسلم يسأل عن ماله من أين أخذه وفيما أنفقه ولذلك قال العلماء مصيبتان فى مال العبد لم يسمع بهما الأولون والآخرون ــ « يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله إذا مات » والمسلم يتملك المال بوسائل كثيرة منها :

١ ــ العمل فى الصناعة والزراعة والتجارة والصيد وإحياء الموات والمضاربة .

٢ ــ الميراث .

٣ ــ الأعطيات التى تدفعها الدولة لرعاياها .

٤ ــ الهدية والهبة أو الوصية . ويحرم عليه التملك بوسائل منها :

١ ــ الغش

٢ ــ الإحتكار

٣ ــ الغبن الفاحش

٤ ــ الربـــــا

٥ ــ القمـــــار

٦ ــ التسعير بلا ضرورة .

٧ ــ التأمين الذى يعتبره العلماء ربا وقماراً وغرراً مثل التأمين على الحياة وعلى الساقين والحنجرة والعينين .

ويمنع المسلم من الإسراف بل ويحجر عليه فى نفقة الدرهم فى حرام كما يمنع أيضاً من الهبة فى مرض الموت ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ ﴾ [النساء : ٥] . ولا يصح له أن يزيد على الثلث فى الوصية لقول النبى ﷺ لسعد بن أبى وقاص حين هم بأن يتصدق بكل ماله ﴿ الثلث والثلث كثير . إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ﴾ [وهو فى الصحيحين] ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما :﴿ وددت لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع ﴾ [وهو فى الصحيحين أيضاً] . والمال إذا بلغ النصاب وحال عليه الحول القمرى الكامل وجب على الإنسان أن يخرج ربع العشر ويقوم ذلك تبعاً للفضة (٦٢٤ جرام) والأصناف التى تجب فيها الزكاة ومقدارها وكيفيتها موضحة فى كتب الفقه وليس غرضنا هنا التفصيل والإستقصاء وإنما لنبين مدى الفارق بين الإسلام وبين غيره من النظم وهذه الزكاة هى حق معلوم ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِى سَبِيلِ اللهِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ ﴾ [التوبة : ٦٠] . ومن شأنها أن تطهر المال وتنمية وتشيع روح الأخوة والمحبة الإيمانية بين الغنى والفقير . ولا يصح إستبدالها بنظام الضرائب كالضرائب التصاعدية وضرائب التركات وغيرها من صور الظلم وإلا فمال الأغنياء لابد من صونه وعدم التطلع له وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال : ﴿ كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ﴾ رواه مسلم ويوم حجة الوداع قال : ﴿ ألا إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا ألا هل بلغت قالوا نعم ﴾ [متفق عليه] . فإذا قامت حاجة

شرعية أو ضرورة مقتضية ولم تكف الزكاة لسدها لجائحة أو حرب أو مجاعة وخلا بيت المال من المال وتنازل الحاكم وأعوانه عما لديهم حينئذ يستوجب الحاكم أن يأخذ من مال الأغنياء اكثر من أموال الزكاة كما حدث فى عهد السلطان بيبرس وقطز ويوسف بن تاشفين وأفتي بهذا النووى والعز بن عبد السلام وعبد الله بن الفراء .

وبعد أن جربت الأمة النظم الإشتراكية والرأسمالية فانتقلت من نكبة إلى أخرى لن نقول لها جربى الإسلام ولكن نقول ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ﴾ [الزمر : ٥٤] . واستقيموا على شرع ربكم ففيه الأمن والأمان والراحة والأطمئنان وإذا كان رأس المال كما يقولون جبان لا يطمئن إلا بالأمان والقضاء على مثيرى القلاقل . فلا أقوى من حكم الله ورسوله ورقابة الإسلام أقوى من رقابة البوليس وأجهزة الأمن وتحصين المال إنما يكون بالزكاة وليس بدفع أقساط شركات التأمين والربا الذى يتعامل به الأفراد والحكومات لا يمكن أبداً أن يسبب رخاءاً وعمراناً ولا أن يتقوى به الاقتصاد ورب العزة جل وعلا يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٩] . ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ [البقرة : ٢٧٦] . ولا طاقة لأحد بحرب الله وأى فلاح يحدث لمن آذنه رب العزة جل وعلا بالحرب والواقع خير شاهد على ذلك فالأطمئنان والأمان لا يحدثان إلا بالرجوع لدين الله سياسة واقتصاداً خلقاً واجتماعاً ، حرباً وسلماً ، أفراداً وجماعات فنحل ما أحل الله ونحرم ما حرم الله عز وجل وندور مع إسلامنا حيث دار وإذا كان الربا ثمانين باباً أيسرها مثل أن ينكح الإنسان أمه فالواجب علينا أن ننتهى عنه تعظيماً لحرمات الله وتحقيقاً للسعادة التى ننشدها فى الدنيا والآخرة بعكس الوعود والخيالات فى الأنظمة الكفرية والتى تتبدد كالسراب الذى ينخدع به العطش الظمأى ولا حقيقة له إلا الضياع والنكد .

حكـــم الإنضمـــام للأحـــزاب
وبدعـــة تقسـيم الناس إلى مؤيدين ومعارضين

يقول تعالى ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٩٢] . ويقول سبحانه ﴿ قُلْ إِنَّما يُوحَى إِلَىّ أَنَّما إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٨] . فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب ولا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى ويقول سبحانه ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] . ومعلوم أن الحق واحد لا يتعدد وأن الباطل كثير لا ينحصر فالواجب على الإنسان أن يعيش بالإسلام وللإسلام وأن يصدع بالحق ولا يخاف لومة لائم وإذا كانت سنة الله قد اقتضت دفعاً بين الحق وبين الباطل ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ ﴾ [البقرة : ٢٥] . فالواجب علينا أن نستن بسنة رسول الله ﷺ فى إقدامنا وإحجامنا وفى حركاتنا وسكناتنا وفى أقوالنا وأفعالنا وعلينا أن نستبشر فالعاقبة للمتقين والنصر عقبى الصابرين الذين يأخذون بالأسباب الشرعية ويستفرغون وسعهم فيها ويفوضون الأمر كله لله . والفارق كبير بين المسلم والكافر فالمسلم يحب فى الله ويبغض فى الله يعطى لله ويمنع لله أما الكافر فإنه يحب لهواه ويبغض لهواه فهواه هو مولاه الذى يقوده إلى حتفه وهلاكه . وإذا كانت النظم الديمقراطية عادة تأخذ بنظام تعدد الأحزاب وكل حزب له برنامجه المعبر عنه وله أيضاً رايته ومن يمثله فهذه الأحزاب منها ما هو شيوعى ماركسى ومنها ما هو وطنى ومنها ما هو ليبرالى علمانى وكثيراً ما نرى الصراع يحتدم ليس فقط بين الأحزاب الموجودة على الساحة بل بين أبناء الحزب الواحد لأسباب عديدة وتنتهى هذه الصراعات بحروب فى أغلب الأحيان فى أخف أحوالها حروب كلامية واعلامية وشأنهم فى ذلك كشأن اليهود والنصارى وفى ذلك يقول تعالى ﴿ وَقَالَتِ اليَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ اليَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ، كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِين لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ [البقرة : ١١٣] . إختلاف مريب ولا يمكن أن يجتمع الناس إجتماعاً صحيحاً يرضى الله إلا اذا صبغوا بصبغة الإسلام

يقول تعالى ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢١٣] . وهؤلاء الأنبياء دينهم واحد ودعوتهم واحدة و ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران : ١٩] . ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِى غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] . ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَلَوْا اِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] . وهذه الأحزاب بدعة منكرة وهى أثر من آثار الإستعمار أحدثها المستعمرون ليفرقوا بين ابناء الأمة الواحدة وليجعلوا أبناء الوطن الواحد شيعاً وأحزاباً بعد ذلك ، نعم وجدت الشورى وحدث نوع من الإستيضاح أو الاعتراض حتى على بعض الحلفاء فى حالة مخالفة النصوص الشرعية كما اعترضت ــ فيما رُوىَ ــ المرأة على عمر بن الخطاب حين أراد تحديد المهور . ولكن هل سمح بقيام أحزاب بمناهج تخالف دين الله وتكفر به بزعم حرية الرأى والتعبير تنشر وتروج المبادىء التى تدين بها فى وسط المسلمين هذا لم يحدث أبداً وقد رأينا الثمار المرة لهذه الأحزاب من تفريق للناس وتنابذ وتراشق بالتهم فى الجرائد والمجلات كما هو حاصل مشاهد فالانضمام الى حزب من هذه الأحزاب هو فى نفسه بدعة لا يقرها الشرع فكيف إذا انضم مع ذلك عدم تمسك رؤساء الحزب بالدين واتخاذهم الدين طريقاً لنيل أغراضهم ومطلوبهم ولاشك أن من يمشى فى ركاب هؤلاء ويهتف بحياتهم ويضحى بنفسه وماله فى سبيل حزبهم يصدق عليه أنه باع آخرته بدنيا غيره يقول النبى ﷺ ﴿ من قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبته أو يدعو الى عصبته أو ينصر عصبته فقتل فقتلة جاهلية ﴾ رواه مسلم . ولما سئل النبى ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أى ذلك فى سبيل الله فقال : ﴿ من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله ﴾ رواه مسلم . ارتفعت رايات كثيرة مارقة للتكتل تحتها بدل راية الإسلام وأصبح كل حزب بما لديهم فرحون والدين لا يعرف مثل هذه الأحزاب وإنما يأمرنا إذا أحدق الخطر بنا ان نتعاضد ونتعاون وتقوم قومة رجل واحد للدفاع عن ديننا الذى لا حياة للأمم والأفراد بدونه وما سوى ذلك فهو مراد باطل ضرره اكثر من نفعه بل لا نفع فيه عند التحقيق والناظر الى الدنيا من حولنا سيجد

كتلاً شرقية وغربية وقوميات وشعوبيات ووطنيات ثم مناهج وفلسفات بين أبناء الوطن الواحد ثم تجاه الحاكم ومنهجه ينقسمون إلى مؤيدين ومعارضين وهذه الحالة لابد وأن تشحذ همم المؤمنين الذين يستعينون بربهم ليجاهدوا بدين الله من كفر بالله يدعون الإنسانية كافة لتسلم وجهها لله رب العالمين ويقيمونها خلافة على منهاج النبوة تطبق دين الله وتسوس الدنيا به ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلعَالَمِينَ نَذِيراً [الفرقان : ٢٧] . ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] . وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : ﴿ المسلمون تتكافأ دمائهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم ﴾ أبى الإسلام لا أباً لى سواه .٠. إذا افتخروا بقيس أو تميم والحب يجب ان يكون فى الله والبغض كذلك يقول الرسول ﷺ ﴿ أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله ﴾ [رواه ابن شيبه وحسنه الألبانى] . والحق مقبول من كل من جاء به كائناً من كان ، والباطل مردود على صاحبه أيضاً كائناً من كان . وكل أبن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون وليس منا معصوم ولا كامل ولابد من مراعاة أدب الخلاف والخلاف الذى يصادم نصاً من كتاب أو سنة خلاف ساقط وغير معتبر والميزان الذى توزن به الأقوال والأفعال ونميز به بين الغث والسمين هو ميزان الكتاب والسنة والحاكم الذى يطبق شرع الله إذا اخطأ فى مسألة أو جانب الحق فى فعل لا يصح الخروج عليه ولا تأليب العامة وإحداث الفتنة حوله ويقول النبى ﷺ ﴿ سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام فأمره ونهاه فى ذات الله فقتله ﴾ وكل إنسان يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ فالواجب علينا جميعاً أن نرجع لمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام وكل خير فى اتباع من سلف وكل شر من ابتداع من خلف ومالم يكن يومئذ ديناً فليس باليوم ديناً ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها . يسعنا ما وسعهم من الخلاف وتتوحد كلمتنا على منهج الله وحينئذ سنأخذ بأسباب التطور الحقيقية من العلم النافع والعمل الصالح ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠] . وحينئذ أيضا سنعرف بإذن الله من الذى نواليه ومن الذى نعاديه من الذى نؤيده ومن الذى نعارضه يقول

أبن تيمية « والمؤمن عليه أن يعادى فى الله ويوالى فى الله فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية قال تعالى ﴿ وَإِنْ طائِفتَانِ مِن الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرى فقاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حَتَّى تَفِىءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ ﴾ [الحجرات : ٩] . الآية فجعلهم أخوة مع وجود القتال والبغى والأمر بالإصلاح بينهم فليتدبر المؤمن الفرق بين هذين النوعين فما أكثر ما يلتبس أحدهما بالآخر وليعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك والكافر يجب معادته وإن أعطاك وأحسن إليك فإن الله سبحانه وتعالى بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه والإكرام لأوليائه والإهانة لاعدائه والثواب لأوليائه والعقاب لأعدائه . ا. هـ.

بماذا نحكم على من ينادى بالديمقراطية ؟

وقد اتضح لنا أن الإسلام شيء والديمقراطية شيء آخر وظهر لنا مدى انحرافها عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وخطر المناداة بها فبماذا نحكم على من يتكلم بالديمقراطية ؟ والإجابة على هذا السؤال تكمن فى معرفة الحكم الشرعى ومعرفة معنى الكلمة وحالة من ينادى بها ثم تطبيق الحكم على الواقع المساوى له وكما يقول العلماء الحكم على الشيء فرع عن تصوره . وإذا كانت الكلمة يونانية والمبادىء التى تنطوى تحتها كفرية وثنية والشرك شيء واحد تتفق صوره فى أنها قصد لغير الله فى التوجه والطلب والتشريع والتعظيم والتقديس وهذه معانٍ متحققة فى كلمة الديمقراطية إلا أن المتكلمين والمنادين بها يتفاوتون تفاوتاً عظيماً فيما بينهم فمنهم الذى يرددها بلسانه وهو يصلى ويصوم وينادى بتطبيق حكم الله فى كل مجالات الحياة — ومنهم من ينطق ويردد كالببغاوات ويظن أنه يحسن الصنع لكونه أحسن التلفظ والنطق بها — ومنهم من يرى أنه يسدى جميلاً ويقدم خدمة للإسلام عندما ينادى بالديمقراطية الإسلامية — ومن هؤلاء من يظن أن الديمقراطية هى الشورى الإسلامية — وكل هؤلاء جهال بحقيقة هذه الكلمة وما تنطوى عليه ومن المنادين بها من هو من عتاة المجرمين والملحدين فكيف يأخذون حكماً واحداً وأحوالهم على هذا النحو من الإختلاف ، ونحن حين نقول عن الديمقراطية هى منهج وثنى كفرى فليس معنى ذلك أن نكفر كل من نادى بها فقد يكون القول كفراً ويطلق القول بتكفير قائله أما الشخص المعين فلا يكفر إلا بعد قيام الحجة الرسالية عليه وهذه الحجة يقيمها عالم أو ذو سلطان مطاع وحتى تنتفى الشبهات وتدرأ المعاذير ويحيى من حيّ عن بينة ، يقول النووى فى شرحه لصحيح مسلم ج (١) ص ١٥٠ « أعلم أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ولا يكفر أهل الأهواء والبدع(كالخوارج و المعتزلة والرافضة وغيرهم) وأن من جحد ما يعلم من دين الإسلام ضرورة حكم بردته وكفره ، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة ونحوه ممن يخفى عليه ، فيعرف ذلك فإن استمر حكم بكفره ، وكذلك من

فان استحل الزنا أو الخمر أو القتل أو غير ذلك من المحرمات التى يعلم تحريمها ضرورة » ونقل السيد صديق حسن كان فى « الروضة الندية » ما قاله الإمام الشوكانى فى كتابه « السيل الجرار » اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله فى الكفر لا ينبغى لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار فإنه قد ثبت فى الأحاديث الصحيحة المروية عن طريق جماعة من الصحابة أن « من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما » هكذا فى الصحيح وفى لفظ آخر فى الصحيحين وغيرهما « من دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه » أى رجع وفى لفظ فى الصحيح فقد كفر أحدهما ففى هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر وأكبر واعظ عن الإسراع فى التكفير وقد قال عز وجل ﴿ وَلَكِنْ مَنْ شَرِحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً ﴾ [النحل : ١٠٦] . فلابد من شرح الصدر بالكفر وطمأنينة القلب به وسكون النفس إليه فلا إعتبار بما يقع من طوارق عقائد الشرك لاسيما مع الجهل بمخالفتها لطريقة الإسلام ولا اعتبار بصدور فعل كفرى لم يرد به فاعله الخروج عن الإسلام إلى ملة الكفر ولا إعتبار بلفظ يلفظ به المسلم يدل على الكفر ولا يعتد معناه » ا. هـ. وعلينا أن نسعى فى توصيل الحق إلى الخلق دون تنفير الناس وأن نواصل النهار بالليل فى ذلك ، لا ندخر وسعاً ولا يصح إعطاء الدعوة الفتات من أوقاتنا فى وقت يموج بعشرات الفلسفات والمناهج الخربة يحملها أهلها ويبذلون الغالى والرخيص والنفس والنفيس فى سبيل إبلاغها ولابد من التعرف على الواقع والشبهات التى ورثها الناس جيلاً بعد جيل بفعل وساوس الشياطين وأعداء الإسلام والناس وإن كانوا قد ورثوا الإسلام إلا أنهم جهلوا معانيه والوقت الذى نعيش فيه وقت غربة وجهالة انتقلت من عوام الناس إلى بعض من ينتسب للعلم الشرعى فلا يصح التسرع فى إطلاق أحكام التكفير على عواهنها ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة : ٨] . فنعرف الحق ونرحم الخلق وإذا كان القطار يسير بأقصى سرعة فلا يليق بنا أن نجلس على مقاعد المتفرجين فى وقت يسابق الريح وقد شرفنا رب العزة جل وعلا بالإنتساب لدينه وبصرنا بالواجب والحق الذى خلقنا من أجله . ونسأله سبحانه التوفيق والسداد والإخلاص فى القول والعمل .

نماذج للتأس وكلمات مأثـورات

ــ أبو بكر الصديق رضى الله عنه :

عن هشام بن عروة عن أبيه قال : لما ولى أبو بكر خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : « أما بعد أيها الناس ، قد وليت عليكم ولست بخيركم ولكن قد نزل القرآن وسن النبى ﷺ السنن فعلمنا ، اعلموا أن أكيس الكَيْس التقوى ، وإن أحمق الحمق الفجور ، إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ له حقه وإن أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق أيها الناس إنما انا متبع ولست بمبتدع فإن أحسنت فأعينونى وإن زغت فقومونى » وعنْ عبد الله بن حكيم قال : خطبنا أبو بكر فقال : أما بعد فإنى أوصيكم بتقوى الله وأن تثنوا عليه بما هو أهله وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الإلحاف بالمسألة . إن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِى الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء : ٩٠] . اعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم وأخذ على ذلك مواثيقكم واشترى منكم القليل الفانى بالكثير الباقى وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه ولا يطفأ نوره ، فصدقوا قوله وانتصحوا كتابه واستضيئوا منه ليوم القيامة وإنما خلقكم لعبادته ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون ، ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون فى أجل قد غُيب عنكم علمه فإن استطعتم أن تنقضى الآجال وأنتم فى عمل الله فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله فسابقوا فى مهل آجالكم قبل أن تنقضى آجالكم فتردكم إلى سوء أعمالكم فإن أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم ، الوحا الوحا (أى السرعة السرعة) النجاء النجاء إن وراءكم طالباً حثيثاً مرّة سريع » .

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط قال : « لما حضر أبا بكر الصديق الموتُ دعا عمر فقال له : « اتق الله يا عمر وأعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى فريضته ، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى دار الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان

يوضع فيه الحقُ غداً أن يكون ثقيلاً وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً وان الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئه فإذا ذكرتهم قلت : إنى لأخاف أن لا ألحق بهم . وإن الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ورد عليهم أحسنه فإذا ذكرتهم قلت إنى لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء ليكون العبد راغباً راهباً لا يتمنى على الله ولا يقنط من رحمة الله . فإن أنت حفظت وصيتى فلا يك غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك وإن انت ضيعت وصيتى فلا يك غائب أبغض إليك من الموت ولست تعجزه — وعن عائشة قالت : لما مرض أبو بكر مرضه الذى مات فيه قال : انظروا ماذا زاد فى مالى منذ دخلت فى الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة من بعدى . فنظرنا فإذا عبد نوبى كان يحمل صبيانه وإذا ناضح (بعير) كان يسقى بستاناً له . فبعثنا بهما إلى عمر . قالت : فأخبرنى جدى أن عمر بكى وقال : رحمة الله على أبى بكر لقد أتعب من بعده تعباً شديداً .

عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

عن الأوزاعى ، أن عمر بن الخطاب خرج فى سواد الليل فرآه طلحة فذهب عمر فدخل بيتاً ثم دخل بيتاً آخر فلما أصبح طلحة ذهب إلى البيت ذلك فإذا عجوز عمياء مقعدة ، فقال لها : ما بال هذا الرجل يأتيك ؟ قالت : إنه يتعاهدنى منذ كذا وكذا يأتينى بما يصلحنى ويخرج عنى الأذى . قال طلحة : ثكلتك أمك طلحة أعثرات عمر تتبع ؟

وعن ابن عمر قال : قدمت رفقة من التجار فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن : هل لك أن تحرسهم الليلة من السرق ؟ فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما فسمع عمر بكاء صبى فتوجه نحوه فقال لأمه : اتقى الله وأحسنى إلى صبيك ثم عاد إلى مكانه فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك ثم عاد الى مكانه فلما كان من آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه فقال لها ويحك إنى لأراك إلا سوء مالى أرى ابنك لا يقر منذ الليلة ؟ قالت : يا عبد الله قد ابرمتنى منذ الليلة إنى أريغه عن الفطام فيأبى قال ولم ؟ فقالت : لأن عمر لا يفرض إلا للفطم قال وكم له ؟ قالت

كذا وكذا شهراً قال : ويحك لا تعجليه . فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء فلما سلم قال يا بؤساً لعمر ، كم قتل من أولاد المسلمين ثم أمر منادياً فنادى أن لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإنا نفرض لكل مولود فى الإسلام وكتب بذلك إلى الآفاق أن يُفرض لكل مولود فى الإسلام . وعن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال : كان عمر يصوم الدهر وكان زمان الرمادة (سنة جدب وقحط) إذا أمسى أتى بخبز قد ثرد فى الزيت إلى أن نحروا يوماً من الأيام جزوراً فأطعمهما الناس وغرفوا له طيبها فأتى به فإذا قدر من سنام ومن كبد فقال أنى هذا ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين من الجزور التى نحرنا اليوم قال : بخ بخ (استعملت هنا على سبيل الإستياء والتهكم) بئس الوالى أنا إن أكلت أطيبها وأطعمت الناس كراديسها (رؤوس العظام) ارفع هذه الجفنة هات لنا غير هذا الطعام ، فأتى بخبز وزيت فجعل بيده ويثرد ذلك الخبز ثم قال : ويحك يا يرفأ (هو مولى عمر) ارفع هذه الجفنة حتى تأتى بها أهل بيت بثمغ (موضع تلقاء المدينة) فانى لم آتهم منذ ثلاثة أيام وأحسبهم مقفرين (خالين من الطعام) فضعها بين أيديهم . عن عبد الله بن عمر قال : كان عمر بن الخطاب يقول: لو مات جدى بطف الفرات لخشيت أن يحاسب الله به عمر — عن ثابت بن الحجاج قال : عمر حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا فإنه أهون عليكم فى الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم تزينوا للعرض الأكبر ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ . وعن وديعة الأنصارى قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول وهو يعظ رجلاً : لا تكلم فيما لا يعنيك واعرف عدوك واحذر صديقك إلا الأمين والأمين إلا من يخشى الله ولا تمش مع الفاجر فيعلمك من فجوره ولا تطلعه على سرك ولا تشاور فى أمرك إلا الذين يخشون الله عز وجل .

عثمان بن عفان رضى الله عنه :

عن ابن عمر قال : كنا نخير (نفاضل) بين الناس فى زمان رسول الله ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان — انفرد باخراجه البخارى — وعن عبد الله قال : حين استُخلف عثمان : استخلفنا خير من بقى ولم نألُه (لم

نقصر فى ذلك) ـــ وعن ابن عمر ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ انَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يُحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [الزمر : ٩١] . قال هو عثمان بن عفان وقد صح عن عمر أنه جعله فى أهل الشورى وشهد له أن رسول الله ﷺ مات وهو عنه راض وقد صح عن ابى بكر الصديق أنه أملى على عثمان وصيتين عند موته فلما بلغ إلى ذكر الخليفة أغمى عليه ـــ فكتب عثمان : « عمر » فلما أفاق قال : من كتب ؟ قال عمر فقال : لو كتبت نفسك لكنت لها أهلاً ... وعن يونس أن الحسن سئل عن القائلين (الإستراحة وقت نصف النهار) فى المسجد فقال رأيت عثمان بن عفان يقيل فى المسجد وهو يومئذ خليفة ويقوم وأثر الحصى بجنبه قال : فنقول هذا أمير المؤمنين هذا أمير المؤمنين ـــ رواه أحمد . وقال الحسن رأيت عثمان نائماً فى المسجد ورداؤه تحت رأسه فيجىء الرجل فيجلس إليه ثم يجيىء الرجل فيجلس إليه كأنه أحدهم وعن سلمان بن موسى أن عثمان بن عفان دعى إلى قوم كانوا على أمر قبيح فخرج إليهم فوجدهم قد تفرقوا ، ورأى أمراً قبيحاً فحمد الله إذ لم يصادفهم وأعتق رقبة ـــ وعن شرحبيل بن مسلم أن عثمان كان يطعم الناس طعام الإمارة ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت . وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : أشرف عثمان من القصر وهو محصور فقال أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم حراء إذا اهتز الجبل فركضه (ضربه) بقدمه ثم قال : اسكن حراء وليس عليه إلا نبىُ أو صدّيق أو شهيد وأنا معه فانتشد (أى أجابوه) له رجال ـــ قال : أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم بيعة الرضوان إذ بعثنى إلى المشركين من أهل مكة قال هذه يدى وهذه يد عثمان فبايع فانتشد له رجال ـــ قال : أنشد بالله من سمع رسول الله ﷺ قال : من يوسع لنا بهذا البيت فى المسجد ببيت له فى الجنة فابتعته من مالى فوسعت به المسجد فانتشد له رجال قال : وأنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم جيش العسرة قال : من ينفق اليوم نفقة متقبلة ؟ فجهزت نصف الجيش من مالى قال فانتشد له رجال قال : وأنشد بالله من شهد رومة (بئر بالمدينة لم يكن يشرب منها أحد إلا بثمن) يباع ماؤها ابن السبيل فابتعتها من مالى فأبحتها ابن السبيل فانتشد له رجال « رواه أحمد » . وعن ابن سيرين قال : قالت أمرأة عثمان حين قتل عثمان قتلتموه وإنه ليحيى الليل كله بالقرآن ـــ وعن مطرّف قال : لقيت

علياً رضى الله عنه فقال لى : يا أبا عبد الله مابطأ بك عنا ، أحب عثمان ؟ أما لئن قلت ذاك لقد كان أوصلنا للرحم وأتقانا للرب تعالى .

على بن أبى طالب رضى الله عنه :

عن سعد بن أبى وقاص قال : خلّف رسول الله ﷺ على بن أبى طالب فى غزوة تبوك فقال : يا رسول الله تخلفنى فى النساء والصبيان ؟ فقال : ﴿ أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ غير أنه لا نبى بعدى ﴾ أخرجاه فى الصحيحين — وعن زربن حُبيش قال قال على رضى الله عنه : والله إنه لما عهد إلى رسول الله ﷺ أنه قال : لا يُبغضنى إلا منافق ولا يحبنى إلا مؤمن » رواه مسلم . وعن أبى صالح قال : قال معاوية بن أبى سفيان لضرار : صف لى علياً . فقال : أو تعفينى ؟ قال : بل صفه قال : أو تعفينى ؟ قال : لا أعفيك قال أما إذاً فإنه والله كان بعيد المدى شديد القوى ، يقول فصلاً ويحكم عدلاً ينفجر العلم من جوانبه وينطق بالحكمة من نواصيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب (الغليظ الخشن) كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويبتدئنا إذا أتيناه ويأتينا إذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة ولا نبتديه لعظمه فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوى فى باطله ولا ييئس الضعيف من عدله وأشهد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سُجوفه وغارت نجومُه وقد مثل فى محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين وكأنى أسمعه وهو يقول : يادنيا أبى تعرضت أم لى تشوفت ؟ هيهات هيهات غرى غيرى قد بتتك (طلقتك طلاقاً بائناً قاطعاً) ثلاثاً لا رجعة لى فيك فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق قال فذرفت دموع معاوية رضى الله عنه حتى خرت على لحيته فما يملكها وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء ثم قال معاوية رحمه الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه ياضرار قال حزن من ذُبح ولدها فى حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها — وعن على بن الأقمر عن أبيه قال :

رأيت علياً رضى الله عنه وهو يبيع سيفاً له فى السوق ويقول : من يشترى منى هذا السيف ؟ فوالذى خلق الحبة لطالما ماكشفت به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ ولو كان عندى ثمن إزار ما بعته ـــ وعن مهاجر بن عمير قال : قال على بن أبى طالب « إن أخوف ما أخاف اتباعُ الهوى وطول الأمل : فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسى الآخرة ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة إلا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل ، وعن عبد الله بن عباس أنه قال ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله ﷺ كانتفاعى بكتاب كتب به إلى على بن أبى طالب فإنه كتب إلى « أما بعد فإن المرء يسوؤه مالم يكن ليدركه ويسره درك مالم يكن ليفوته فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك وليكن أسفك على ما فاتك منها وما نلت من دنياك فلا تكثرن به فرحاً وما فاتك منها فلا تأس عليه حزناً وليكن همتك فيما بعد الموت ، وعن زيد بن وهب قال قدم على على قوم من أهل البصرة من الخوارج فيهم رجل يقال له الجعدين بحجة فقال له اتق الله يا على فإنك ميت فقال له على رضى الله عنه « بل مقتول » ضربة على هذا تخضب هذه ـــ يعنى لحيته من رأسه ـــ عهد معهود وقضاء مقضى وقد خاب من افترى .

معاوية بين أبى سفيان رضى الله عنه :

قال ابن كثير فى الهداية والنهاية « فأيام معاوية أول الملك فهو أول ملوك الإسلام وخيارهم » قال الطبرانى وساق الحديث بإسناده عن معاذ بن جبل وأبى عبيدة قالوا قال رسول الله ﷺ ﴿ إن هذا الأمر بدأ رحمة ونبوة ثم يكون رحمة وخلافة ثم كائن ملكاً عضوضاً ثم كائن فتواً وجبرية وفساداً فى الأرض ، يستحلون الحرير و الفروج والخمور ويرزقون على ذلك وينصرون حتى يلقوا الله عز وجل ﴾ اسناده جيد ا. هـ. وقد ورد عن معاوية بإسناد فيه ضعف وله شواهد من وجوه أخر ـــ قال « والله ما حملنى على الخلافة إلا قول رسول ﷺ لى » « يامعاوية إن ملكت فأحسن » وقد حدث ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ من أن الخلافة بعده ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً وقد انقضت الثلاثون بخلافة الحسن بن على ومعاوية خال المؤمنين وكاتب وحى

رب العالمين أسلم هو وأبوه وأمه هند بنت عتبة يوم الفتح وقد روى عن معاوية أنه قال أسلمت يوم عمرة القضاء ولكنى كتمت إسلامى من أبى إلى يوم الفتح ولما فتحت الشام ولاه عمر نيابة دمشق بعد أخيه يزيد بن ابى سفيان وأقره على ذلك عثمان بن عفان وزاده بلاداً أخرى والواجب علينا أن نمسك عما حدث وشجر بين صحابة النبى ﷺ فهم خيار أولياء الله المتقين وكلهم عدول وكل صحابى أفضل من كل من جاء بعده ويكفيهم شرف الصحبة لرسول الله ﷺ وقد اجتهدوا رضوان الله عليهم فى اقامة الحق والعدل منهم المصيب ومنهم المخطىء والمصيب له أجران والمخطىء له أجر ولا يصح التنقص من معاوية رضى الله عنه وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال ﴿ أصحابى أصحابى لا تسبوا أصحابى فوالذى نفس محمد بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً لم يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه ﴾ [معناه فى الصحيحين] . وكان أبو أيوب يقول : « إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من صحابة رسول الله ﷺ فاعلم أنهم أرادوا أن يجرحوا شهودنا ليعطلوا العمل بالكتاب والجرح بهم أولى وهم زنادقة » ولم يزد على بن أبى طالب رضى الله عنه على أن قال فى خلافة مع معاوية « إخواننا بغوا علينا » وكان مع معاوية أناس ممن شهد بدراً وكأن الله أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم وكان معاوية هو ولى دم عثمان وقد طالب علياً بضرورة التعجل بالقصاص من قتلته فشابه فى ذلك موقف السيدة عائشة وطلحة والزبير وكان الحق والصواب مع على فرضى الله عنهم جميعاً ثم خلع الحسن نفسه من الخلافة بعد ذلك وسلم الملك إلى معاوية بن أبى سفيان وكان ذلك فى ربيع الأول من هذه السنة — سنة احدى واربعين — ودخل معاوية الكوفة فخطب الناس بها خطبة بليغة بعدها بايعه الناس — واستوثقت له الممالك شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً وسمى هذا العام عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على أمير واحد بعد الفرقة . وقد كان معاوية بمثابة شمس سطعت بعد شموس أربعة ملئت الدنيا نوراً وضياءاً فخفت ضوئها قليلاً بالمقارنة عمن سبقه من الخلفاء الراشدين ، وقد أصاب ابن القيم حين قال نحن فى زمن لا يصلح أن يولى علينا فيه مثل معاوية بن ابى سفيان ولا عمر بن عبد العزيز فضلاً عن الشيخين أبى بكر وعمر — راجع كتاب العواصم من القواصم لأبى بكر بن العربى .

عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

عن سهل بن يحيى محمد المروزى قال : أخبرنى أبى محمد عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز قال لما دفن عمر بن عبد العزيز سليمان بن عبد الملك وخرج من قبره سمع للأرض هِدة أو رجة فقال ما هذه ؟ فقيل هذه مراكب الخلافة يا أمير المؤمنين قربت إليك لتركبها فقال مالى ولها ؟ نحوها عنى قربوا إلى بغلته فقربت إليه بغلته فركبها فجاءه صاحب الشرط يسير بين يديه بالحربة فقال تنح عنى مالى ولك إنما أنا رجل من المسلمين فسار وسار معه الناس حتى دخل المسجد فصعد المنبر واجتمع الناس إليه فقال : يا أيها الناس انى قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأى كان منى فيه ولا طلبة له ولا مشورة من المسلمين وإنى قد خلعت مافى أعناقكم من بيعتى فاختاروا لأنفسكم فصاح المسلمون صيحة واحدة قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك فولِ أمرنا باليمن والبركة فلما رأى الأصوات قد هدأت ورضى به الناس جميعاً حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ وقال : أوصيكم بتقوى الله فإن تقوى الله خلف من كل شىء ليس من تقوى الله عز وجل خلف فاعملوا لآخرتكم فإنه من عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه وأصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم وأكثروا ذكر الموت وأحسنوا الإستعداد قبل أن ينزل بكم فإنه هادم اللذات وإن من لا يذكر من آبائه فيما بينه وبين آدم عليه السلام أبا حياً لمعرق فى الموت وإن هذه الأمة لم تختلف فى ربها عز وجل ولا فى نبيها ولا فى كتابها إنما اختلفوا فى الدنيار والدرهم وإنى والله لا أعطى أحداً باطلاً ولا أمنع أحداً حقاً ثم رفع صوته حتى أسمع الناس فقال : يا أيها الناس من أطاع الله فقد وجبت طاعته ومن عصى الله فلا طاعة له أطيعونى ما أطعت الله فإذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم ثم نزل فدخل فأمر بالستور فهتكت والثياب التى كانت تبسط للخلفاء فحملت وأمر ببيعها وإدخال أثمانها فى بيت مال المسلمين ثم ذهب يتبوأ مقيلاً فأتاه ابنه عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين ماذا تريد أن تصنع ؟ قال أى بنى أقيل قال تقيل ولا ترد المظالم ؟ قال أى بنى إنى قد سهرت البارحة فى أمر عمك سليمان فإذا صليت الظهر رددت المظالم قال يا أمير المؤمنين من لك أن تعيش إلى الظهر ؟ قال إدن منى أى بنى فدنا منه والتزمه وقبل بين عينيه وقال

الحمد لله الذى أخرج من صلبى من يعيننى على دينى فخرج ولم يقل وأمر مناديه أن ينادى ألا من كان له مظلمة فليرفعها فقام إليه رجل ذمى من أهل حمص أبيض الرأس واللحية فقال يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله قال وماذاك ؟ قال العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبنى أرضى والعباس جالس فقال له يا عباس ما تقول ؟ قال أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك وكتب لى بها سجلاً فقال عمر ما تقول ياذمى ؟ قال يا أمير المؤمنين أسألك بكتاب الله عز وجل فقال عمر كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك قم فاردد عليه يا عباس ضيعته فرد عليه فجعل لا يدع شيئاً مما كان فى يده وفى يد أهل بيته من المظالم إلا ردها مظلمة مظلمة فلما بلغت الخوارج سيرة عمر وما ورد من المظالم اجتمعوا فقالوا : ما ينبغى لنا أن نقاتل هذا الرجل فبلغ ذلك عمر بن الوليد بن عبد الملك فكتب إليه إنك قد أزريت على من كان قبلك من الخلفاء وعبت عليهم وسرت بغير سيرتهم بغضاً لهم وشنئا لمن بعدهم من أولادهم قطعت ما أمر الله به أن يوصل إذ عمدت إلى أموال قريش ومواريثهم فأدخلتها فى بيت المال جوراً وعدواناً ولن تترك على هذا فلما قرأ كتابه كتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم — من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمر بن الوليد السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين أما بعد فإنه بلغنى كتابك وسأجيبك بنحو منه أما أول شأنك ابن الوليد كما زعم فأمك بنانة امة السكون كانت تطوف فى سوق حمص وتدخل وتدور فى حوانيتها ثم الله أعلم بها اشتراها ذبيان من فىء المسلمين.

فأهداها لأبيك فحملت بك فبئس المحمول وبئس المولود ثم نشأت فكنت جباراً عنيداً تزعم أنى من الظالمين لما حرمتك وأهل بيتك فىء الله عز وجل الذى فيه حق القرابة والمساكين والأرامل وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعملك صبياً سفيهاً على جند المسلمين تحكم فيهم برأيك ولم تكن له فى ذلك نية إلا حب الوالد لولده فويل لك وويل لأبيك ما أكثر خصماءكما يوم القيامة وكيف ينجو أبوك من خصمائه ؟ وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل الحجاج بن يوسف يسفك الدم الحرام ويأخذ المال الحرام وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل قرة بن شريك أعرابياً

جافياً على مصر أذن له فى المعازف واللهو والشرب وإن اظلم منى وأترك لعهد الله من جعل لعالية البربرية سهماً فى خمس العرب فرويداً يابن بنانة فلو التقى حلقتا البطان ورد الفىء إلى أهله لتفرغت لك ولأهل بيتك فوضعتهم على المحجة البيضاء فطالما تركتم الحق وأخدتم فى بنيات الطريق ومن وراء هذا ما أرجو أن أكون رأيته بيع رقبتك وقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين والأرامل فإن لكل فيك حقاً والسلام علينا ولا ينال سلام الله الظالمين .

علمـــاء وأمـــراء

ذهب عبد الملك بن مروان يوماً لزيارة المدينة ودعى أبو حازم للقائه فما كاد يراه حتى دار بينهما هذا الحوار الخليفة يا أبا حازم ما هذا الجفاء ؟ أبو حازم : أى جفاء رأيت منى يا أمير المؤمنين . الخليفة : وجوه الناس زارونى ولم تزرنى . أبو حازم : ما عرفتنى قبل هذا ولا أنا رأيتك . الخليفة : يا أبا حازم مالنا نكره الموت . ابو حازم : لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتكرهون الخروج من العمران إلى الخراب . الخليفة : صدقت ترى ماذا لنا عند الله غداً ؟ أبو حازم : اعرض نفسك على كتاب الله تعرف مكانك غداً . الخليفة : وأين أجده فى كتاب الله ؟ ابو حازم : عند قوله ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ وَإِنَّ الفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ [الانفطار : ١٤] . الخليفة فأين رحمة الله إذن ـــ أبو حازم : قريب من المحسنين ـــ الخليفة : وكيف لنا أن نصلح أنفسنا ـــ أبو حازم : تتركون الصلف وتتمسكون بالمروءة وتقسمون بالسوية وتعدلون بين الناس وتأخذون المال بحقه وتضعونه فى حقه . الخليفة : يا أبا حازم ألا تصحبنا فننتفع بك وتنتفع بنا . أبو حازم : لا ـــ الخليفة ولم ؟ أبو حازم : إنى أخاف أن أركن إليكم شيئاً قليلاً فيذيقنى الله ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا أجد لى منه نصيراً . الخليفة : إذن فارفع إلىَّ حاجتك أقضها لك . أبو حازم : تدخلنى الجنة وتحرم علىَّ النار . الخليفة : ليس ذلك لغير الله . أبو حازم : وليس لى حاجة سواها . الخليفة يا أبا حازم ما رأيك فينا . أبو حازم : أن تعفينى من هذا السؤال . الخليفة : إنها نصيحة تلقيها إلينا . أبو حازم : إن آباءك اغتصبوا هذا الأمر من الناس اخذوه عنوة بالسيف من غير شورة ولا اختيار وقد قتلوا من أجله خلقاً كثيراً وبعد حين رحلوا فلو تدرى مصيرهم عند الله وضاق البعض أو تظاهر بالضيق فقال أحدهم لأبى حازم بئس ما تخاطب به الخليفة فلفحه أبو حازم بصوت غضوب كذبت أن الله أخذ على العلماء ميثاقه ليبينن للناس أمره ولا يكتمونه وعاد الخليفة يسأله النصح يا أبا حازم أوصنى ـــ أبو حازم نعم سأوصيك وأوجز نزه الله وعظمه حيث لا يراك حيث نهاك ولا يفتقدك حيث أمرك ـــ وينهض أبو حازم ذاهباً ويتناول

الخليفة صرة منتفخة بالدنانير وقال لأبى حازم على استحياء ألا تقبل منا هذه ونظر لها أبو حازم باشمئزاز وقال « والله ما أرضاها لك فكيف ارضاها لنفسى ولما دخل الإمام سعيد بن جبير رحمه الله على الحجاج بن يوسف الثقفى ابتدره الحجاج قائلاً ما اسمك . سعيد : سعيد بن جبير ــ الحجاج بل شقى بن كسير ــ سعيد : بل كانت أمى أعلم باسمى منك ــ الحجاج : شقيت وشقيت أمك . سعيد : الغيب يعلمه غيرك . الحجاج : لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى ــ سعيد : لو علمت أن ذلك بيدك لا تخذتك إلهاً . الحجاج : الويل لك يا سعيد . سعيد : بل الويل لمن زحزح من الجنة وأدخل النار ــ الحجاج : اختر لنفسك نوع القتلة التى تريد أن تقتل بها يا سعيد بل اختر أنت يا حجاج فوالله لا تقتلنى قتلة إلا قتلك الله مثلها فى الآخرة ــ وخرجوا به فضحك سعيد . فأرجعوه وسأله الحجاج عن سبب ضحكه فقال سعيد : عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عنك ــ فوجهوه للقبلة لقتله فقال ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينْ ﴾ [الأنعام : ٧٩] . فحوله لغير القبلة فقال سعيد ﴿ وَللهِ الْمَشْرِقَ والمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾ [البقرة : ١١٥] . فبسطوه على وجهه فقال : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [طه : ٥٥] . ثم قتلوه وهو يدعوا على الحجاج ويقول اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدى . فمات بعدها الحجاج بأيام وهو يقول مالى ولسعيد بن جبير . مالى ولسعيد بن جبير .

كان سعيد بن المسيب يقول « لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم لكى لا تحبط أعمالكم » .

وسئل الإمام مالك عن الخارجين على الحكام ايجوز قتالهم فقال نعم إن خرجوا على مثل عمر بن عبد العزيز قالوا فإن لم يكونوا مثله قال دعهم ينتقم من ظالم لظالم ثم ينتقم من كليهما .

ومن أقوال الإمام أحمد رحمه الله « إذا أجاب العالم تقية والجاهل يجهل فمتى يتبين الحق » .

ولما أدخل الإمام أبو حنيفة السجن وضرب بالسياط بين أيدى أبى جعفر المنصور

وكانت أمه تزوره وفى يوم قالت له « يا نعمان إن علماً ما أفادك غير الضرب والحبس لحقيق بك أن تنفر عنه فأجابها يا أمه لو أردت الدنيا لوصلت إليها ولكنى أردت أن يعلم الله أنى صنت العلم ولم أعرض نفسى فيه للهلكة .

ويذكر أن شيخ الإسلام ابن تيمية حين ورد الأمر بسجنه فى قلعة دمشق أظهر السرور وقال : « انى كنت منتظراً ذلك وهذا فيه خير عظيم — ما يصنع أعدائى بى أنا جنتى وبستانى فى صدرى أينما رحت فهى معى لا تفارقنى أنا حبسى خلوة وقتلى شهادة وإخراجى من بلدى سياحة — ولما رأى أسوار السجن قال : فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبلة العذاب . وحبس معه ابن القيم فقال له مرة المحبوس من حبس قلبه عن ربه والمأسور من أسره هواه ويقول ابن القيم وسمعته يقول فى سجوده وهو محبوس اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

وقد ألف الإمام السرخسى كتابه المبسوط فى الفقه فى ثلاثين مجلداً وهو محبوس فى الجب — وكان سبب الحبس كلمة نصح بها الخاقان — وقد أملى المبسوط على تلاميذه أعلى الجب وقال عند فراغه من شرح العبادات هذا آخر شرح العبادات بأوضح المعانى وأوجز العبارات أملاه المحبوس عن الجمع والجماعات . وقال آخر شرح الإقرار انتهى شرح الإقرار المشتمل من المعانى على ما هو من الأسرار بإملاء المحبوس فى مجلس الأشرار . ولما وصل إلى باب الشروط حصل له الفرج . وللسرخسى كتاب فى أصول الفقه وشرح السير الكبير أملاه وهو فى الجب .

وكان العز بن عبد السلام رحمه الله يقول : « من آثر الله على نفسه أثره الله والمخاطرة بالنفوس مشروعة فى إعزاز الدين ولما طلع العز يوماً إلى السلطان أيوب فى يوم عيد بالقلعة فشاهد العسكر مصطفين بين يديه فالتفت إليه الشيخ وناداه يا أيوب ما حجتك عند الله إذا قال لك ألم أبوىء لك ملك مصر وأنت تبيع الخمور فقال هل جرى هذا قال نعم الحانة الفلانية يباع فيها الخمر وأنت تتقلب فى نعمة هذه المملكة — فلما رجع العز سأله الباجى كيف قلت للسلطان هذا فقال له الإمام العز رحمه الله استحضرت رهبة الله فكان فى عينى مثل القط .

ويأتى أبو سعيد يوماً للإمام أحمد وهو فى محنته يقول له يا امام قلها فإن لك عيالاً (أى وافق الخليفة فيما يطلب) فيقول له الإمام أحدم أنظر من الشرفة فنظر أبو سعيد ووجد خلقاً كثيراً قد اجتمعوا لكتابة ما يقوله الإمام أحمد فرجع له تلميذه يصف له المشهد فقال له : إمام أهل السنة ما كان لى أن أنجو بنفسى وأضل هؤلاء ـــ ولما قيل له يوماً يا إمام أأنت وحدك على حق وهؤلاء على الباطل قال ويحك أتعرف الحق بالرجال أعرف الحق تعرف أهله واعرف الباطل تعرف من آتاه .

وإبلاغ الحق والوقوف فى وجه الباطل صورة مكرورة فقد جاء المهلب بن أبى صفرة لمالك بن دينار يوماً فقال له ألا تعرفنى فأجابه مالك بن دينار بلى أعرفك حق المعرفة فيسأله المهلب وماذا تعرف عنى فيجيبه مالك « أما أولك فنطفة مذرة وأما آخرك فجيفة قذرة وأنت بين أولك وآخرك تحمل العذرة ـــ ولاشك انها حقيقة تعينه على تواضع كريم .

ويتصدى طاووس لواحد من هؤلاء وأخذت ابنه عليه خيفة فاقترب منه وهمس فى أذنه يخبره أن هذا الذى أمامه حاكم خراسان فقال طاووس لابنه إنى أعرفه وإنما ألقنه هذه الكلمات ليعلم أن لله عباداً لا يعبأون بما فى أيديهم من دنيا وسلطان وأن سلطانهم بغير تقوى الله لا يزيدهم فى أعيننا إلا هواناً » .

وكان أبو مسلم الخولانى يقول « لا يصلح الناس إلا بإمام ولا يصلح الإمام إلا بالناس فكما تكونوا يول عليكم » .

وجاء أحد الحكام لمالك بن دينار يقول له ادع الله لى فأجابه مالك « وكم من مظلوم بالباب يدعو عليك ـــ وسأله آخر الدعاء فقال كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم أيستجاب لواحد ولا يستجاب لألف . ويأتى آخر تراوغه ذبابة فيتوجه إلى جعفر الصادق بسؤاله « يا أبا عبد الله لماذا خلق الله الذباب فيجيبه جعفر ليذل به الجبابرة » .

وبعث أبو حازم (سلمة بن دينار) للزهرى (وكان بينه وبين عبد الملك بن مروان مودة وكان يزوره ويحضر مجالسه) « عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن ورحمك من

النار فقد أصبحت بحال ينبغى لمن عرفك بها أن يرحك منها ــ لقد أثقلتك نعم الله عليك بما أصح من بدنك وأطال من عمرك وفقهك فى دينه ــ أعلم أبا بكر أن أدنى ما ارتكبت وأعظم ما احتقبت انك آنست الظالم وسهّلت له طريق الغى بدنوك منه حين أدنيت وإجابتك له حين دعيت لقد جعلوك قطباً تدور رحى باطلهم عليك وجسراً يعبرون عليه إلى ضلالاتهم وعلالتهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب العامة إليهم وما تبلغ من نفوسهم مكانة أخص وزرائهم وأقوى أعوانهم إلا بقدر ما تروج لفسادهم وتسوق الخاصة والعامة إليهم فما أهون ما عمروا لك فى جنب ما خربوا عليك وما أقل ما أعطوك فى كثير ما أخذوا منك .

وبعد فأين هؤلاء العلماء الأفاضل رحمهم الله من أناس يصدق عليهم قول المنصور « كلكم يمشى رويداً كلكم يطلب صيداً » وينطبق عليهم قول ابن المبارك رحمه الله حين قال رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها ــ وترك الذنوب حياة القلوب .·. وخير لنفسك عصيانها ــ وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها . فشبه علماء السوء من هذه الأمة بالأحبار والرهبان الذين باعوا دينهم بثمن بخس وكانوا فيه من الزاهدين فأحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحل الله عز وجل وكانوا بمثابة قطاع الطريق إلى الله تنكبتم سبيل أسلافكم حين أحقوا الحق وأبطلوا الباطل فوضع الله فى قلوب الناس هيبتهم لأن من خاف الله خافه كل شيء فكانوا بذلك أجل من الملوك جلالة وكانت إشارتهم للحكام أمراً وطاعتهم عليهم فرضاً . أورثهم الفقر عزة فى نفوسهم فلم يكونوا يهابون أحداً من أبناء الدنيا ولم يميلوا إليها حتى يتزلفوا إليهم من أجلها كسروا قيدها وتخلصوا من رقها وهانت عليهم وهان أهلها . ولسان حال علماء الأمة المعتبرين يقول إنهم زهدوا فى الدنيا فجاءتهم الدنيا وأعرضوا عنها فأقبلت عليهم وهابوا الله فهابهم الناس . فالله الله فى أنفسكم ودينكم وأمتكم ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨١] .

قـــرار مجلـــس المجمـــع الفقهـــى

هذا وقد تعرض مجلس المجمع الفقهى الإسلامى لرابطة العالم الإسلامى والمنعقد بمكة المكرمة لأمر الديمقراطية فى القرار الثانى وذلك أثناء الحديث عن حكم الشيوعية والإنتماء إليها محذرين منها وموضحين كيف أن الباطل والكفر يتزيا بأزياء كثيرة ويستخدم أحياناً ألفاظاً براقة ينخدع بزخرفها من لا بصر عنده ولا بصيرة ، وهذا هو نص القرار « القرار الثانى ــ حكم الشيوعية والإنتماء إليها ص ٣٣ ــ ٣٦ ــ الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده . وبعد : فإن مجلس المجمع الفقهى درس فيما درسه من أمور خطيرة (موضوع الشيوعية والإشتراكية) وما يتعرض له العالم الإسلامى من مشكلات الغزو الفكرى على صعيد كيان الدول وعلى صعيد نشأة الأفراد وعقائدهم وما تتعرض له تلك الدول والشعوب معاً من أخطار تترتب على عدم التنبه الى مخاطر هذا الغزو الخطير . ولقد رأى المجمع الفقهى أن كثيراً من الدول فى العالم الإسلامى تعانى فراغاً فكرياً وعقائدياً خاصة أن هذه الأفكار والعقائد المستوردة قد أعدت بطريقة نفذت إلى المجتمعات الإسلامية وأحدثت فيها خللاً فى العقائد وانحلالاً فى التفكير والسلوك و تحطيماً للقيم الإنسانية وزعزعة لكل مقومات الخير فى المجتمع وإنه ليبدوا واضحاً جلياً أن الدول الكبرى على اختلاف نظمها واتجاهها قد حاولت جاهدة تمزيق شمل كل دولة تنتسب للإسلام عداوة له وخوفاً من امتداده ويقظة أهله ــ لذا ركزت جميع الدول المعادية للإسلام على أمرين مهمين هما العقائد والأخلاق . ففى ميدان العقائد شجعت كل من يعتنق المبدأ الشيوعى المعبر عنه مبدئياً عند كثيرين بالإشتراكية فجندت له الإذاعات والصحف والدعايات البراقة والكتاب المأجورين وسمته حيناً بالحرية وحيناً بالتقدمية وحيناً بالديمقراطية وغير ذلك من الألفاظ وسمت كل ما يضاد ذلك من إصلاحات ومحافظة على القيم والمثل السامية والتعاليم الإسلامية رجعية وتأخراً وانتهازية ونحو ذلك وفى ميدان الأخلاق دعت إلى الإباحية واختلاط الجنسين وسمت ذلك أيضا تقدماً وحرية فهى تعرف تمام المعرفة أنها متى قضت على الدين والأخلاق فقد تمكنت من السيطرة الفكرية والمادية والسياسية وإذا تم ذلك لها تمكنت من السيطرة التامة على جميع مقومات الخير

والإصلاح وصرفتها كما تشاء فانبثق عن ذلك الصراع الفكرى والعقائدى والسياسى وقامت بتقوية الجانب الموالى لها وأمدته بالمال والسلاح والدعاية حتى يتمركز فى مجتمعه ويسيطر على الحكم ثم لا تسأل عما يحدث بعد ذلك من تقتيل وتشريد وكبت للحريات وسجن لكل ذى دين أو خلق قويم ولهذا لما كان الغزو الشيوعى قد اجتاح دولاً إسلامية لم تتحصن بمقوماتها الدينية والأخلاقية تجاهه وكان على المجمع الفقهى فى حدود اختصاصه العلمى والدينى أن ينبه الى المخاطر والتى تترتب على هذا الغزو الفكرى والعقائدى والسياسى الخطير الذى يتم بمختلف الوسائل الإعلامية والعسكرية وغيرها فإن مجلس المجمع الفقهى الإسلامى المنعقد فى مكة المكرمة يقرر ما يلى :

يرى مجلس المجمع لفت نظر دول وشعوب العالم الإسلامى إلى أنه من المسلم به يقيناً أن الشيوعية منافية للإسلام وأن اعتناقها كفر بالدين الذى ارتضاه الله لعباده وهى هدم للمثل الإنسانية والقيم الأخلاقية وانحلال للمجتمعات البشرية والشريعة الإسلامية المحمدية هى خاتمة الأديان السماوية وقد انزلت من لدن حكيم حميد لاخراج الناس من الظلمات الى النور وهى نظام كامل للدولة سياسياً واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً وستظل هى المعول عليها بإذن الله للتخلص من جميع الشرور التى فرقت المسلمين وفتت وحدتهم ومزقت شملهم لا سيما فى المجتمعات التى عرفت الإسلام ثم جعلته وراءها ظهرياً . لهذا وغيره كان الإسلام بالذات هو محل هجوم عنيف من الغزو الشيوعى الإشتراكى الخطير بقصد القضاء على مبادئه ومثله ودوله لذا فإن المجلس يوصى الدول والشعوب الإسلامية أن تتنبه إلى وجوب مكافحة هذا الخطر الداهم بالوسائل المختلفة ومنها الأمور الآتية :

(ا) إعادة النظر بأقصى السرعة فى جميع برامج ومناهج التعليم المطبقة حالياً فيها بعد أن ثبت أنه قد تسرب الى بعض هذه البرامج والمناهج أفكار إلحادية وشيوعية مسمومة مدسوسة تحارب الدول الإسلامية فى عقر دارها وعلى يد نفر من أبنائها من معلمين ومؤلفين وغيرهم .

(ب) إعادة النظر بأقصى السرعة فى جميع الأجهزة فى الدول الإسلامية وبخاصة فى

دوائر الإعلام والإقتصاد والتجارة الداخلية والخارجية وأجهزة الإدارات المحلية من أجل تنقيتها وتقويمها ووضع أسسها على القواعد الإسلامية الصحيحة التى تعمل على حفظ كيان الدول والشعوب وإنقاذ المجتمعات من الحقد والبغضاء وتنشر بينهم روح الأخوة والتعاون والصفاء .

(جـ) الإهابة بالدول والشعوب الإسلامية ان تعمل على اعداد مدارس متخصصة وتكوين دعاة أمناء من أجل الإستعداد لمحاربة هذا الغزو وبشتى صوره ومقابلته بدراسات عميقة ميسرة لكل راغب بالاطلاع على حقيقة الغزو الأجنبى ومخاطره من جهة وعلى حقائق الإسلام وكنوزه من جهة ثانية ومن ثم فإن هذه المدارس وأولئك الدعاة كلما تكاثروا فى أى بلد إسلامى يرجى أن يقضوا على هذه الأفكار المنحرفة الغربية وبذلك يقوم صف علمى عملى منظم واقعى من أجل التحصن ضد جميع التيارات التى تستهدف هذه البقية الباقية من مقومات الإسلام فى نفوس الناس .

كما يهيب المجلس بعلماء المسلمين فى كل مكان وبالمنظمات والهيئات الإسلامية فى العالم أن يقوموا بمحاربة هذه الأفكار الإلحادية الخطيرة التى تستهدف دينهم وعقائدهم وشريعتهم وتريد القضاء عليهم وعلى أوطانهم وأن يوضحوا للناس حقيقة الإشتراكية والشيوعية وانهما حرب على الإسلام . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . ا. هـ.

وقد وقّع على هذا القرار الشيخ عبد الله بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى (السابق) فى المملكة العربية السعودية — والشيخ عبد العزيز بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد والشيخ صالح بن عثيمين والشيخ محمد على الحركان (الأمين العام) . والشيخ محمد بن عبد الله السبيل — والشيوخ (مصطفى الزرقاء — محمد رشيدى — محمد رشيد قبانى — عبد القدوس الهاشمى) .

الخــاتمة

عباد الله ـــ لم نترك سبباً من أسباب البعد عن الله إلا وقد أخذنا عليه بالتواجد ولا سيئة من السيئات إلا واعتنقناها فعاد الإسلام غريباً كما بدأ غريباً وطوبى للغرباء الذين يصلحون عند فساد الأمة ويُصلحون ما أفسد الناس من السنة يأخذون لأنفسهم بأسباب النجاة ويصلون الأرض بالسماء ـــ وينتفون بالخلق كافة أن ﴿ أَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ واحذروا ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ [الروم : ٤٤] . يتشبهون بمؤمن آل فرعون الذى خرج يتابع المرسلين ويقول ﴿ يَا قَوْمِ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُم إِلَى العَزِيزِ الغَفَّارِ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ ، وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ ﴾ [غافر : ٤٤] .

فيا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به واسلموا وجوهكم إلى خالق الأرض والسموات واتركوا المناداة بالإشتراكية والديمقراطية وعضوا على إسلامكم بالنواجذ واياكم وهذه المناهج والفلسفات الخربة فقد تبينتم عوارها وبوارها وعدم صلاحها فى الدنيا والآخرة وقد أمرنا أن نسمى الأشياء بإسمها فالديمقراطية والإشتراكية ... مناهج وثنية كفرية ، لا يصح إضافتها للإسلام ولا يصح ذكرها إلا على سبيل إبطالها ودحض مفترياتها وشبهاتها وليكن هم المسلم محاربة الشرك والوثنية مهما كانت وبأى لباس تحلت فذلك الصراط المستقيم ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ [الأنفال : ٤٢] . والذين قصروا أنفسهم على محاربة ألوان الوثنية القديمة غير مدركين للشرك المتمثل فى الشرود عن منهج الله والسعى وراءَ الأفكار الضالة مخطئون والذين يدركون خطر الجاهلية الجديدة وينكرون ويكابرون فى وجود الجاهلية الموروثة والتى تسرى فى دماء البشر فتجعل القصد لغير الله مخطئون ـــ ومن يعرف الدين

الصحيح ويعرف الأوضاع لا يمارى فى أن للجاهلية الأولى وآلهتها الزائفة بقايا فى ديار المسلمين وكل رسول كان يعالج انحراف قومه ويردهم لإقامة منهج العبودية لله فى أرضه . والباطل والكفر صورة مكرورة فالوثنية الأولى مازالت موجودة هنا وهناك فى بلاد الزنوج والاسكيمو والملايين فى أمريكا وبريطانيا مازالوا يجثون على الركب أمام تمثال العذراء طالبين البركة وآلهة الهند بالألوف والشيوعيون يتخذون من قبر لينين مطافاً ومزاراً وعندنا حتى يومنا هذا من يذبح لأبى العباس وينذر للسيد البدوى ويسجد لقبر الحسين الوهمى ويستغيث بإبراهيم الدسوقى وبالتالى فالآلهة الأولى كألوهوية فرعون ونمرود والأحبار والرهبان نماذج مكرورة لم تتلاش ويخطأ كثيراً من يظن أن التقدم العلمى قادر على إزالة مثل هذا الضلال وعلى قدر علو كعب العالم اليوم فى العلوم المادية فواقع الحال يقول إنه مازال منحطاً فى العلوم الانسانية والدينية ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم : ٧] . فالعلوم المادية لا تجلب الهداية بمفردها بل هى أداة يجب أن تستخدم لتعميق روح الايمان فى نفوس العباد وفتح العيون على قدرة الله فى خلقه « وفى كل شىء له آية .. تدل على أنه واحد » . وقضايا التوحيد لا تتجزأ فيجب التركيز عليها والإهتمام بها وترسيخها فى النفوس ولابد أيضاً من هدم الشرك ودحض الباطل فى كل مظاهره وصوره وأشكاله والشرك شىء واحد تتفق صوره فى أنها قصد لغير الله فى التوجه والطلب والتشريع والتعظيم والتقديس ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى ﴾ [البقرة : ٢٥٦] . وإذا كان تقديم الأهم على المهم أمر واجب فلا أهم من معرفة التوحيد وما ينافيه من الشرك سواء كانت أصناماً أو طواغيت جديدة أو تشريعات معاصرة نصب بها أصحابها أنفسهم أرباباً وآلهة مع الله ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِ أَحَداً ﴾ [الكهف : ٢٦] .

ولتعلم أنه لن يَصلُح آخرُ هذه الأمة إلا بما صلح به أولها كما قال الإمام مالك رحمه الله ـــ فهيا بنا نرجع لمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام فهذا هو سبيل سعادتنا فى دنيانا وأخرانا وهو الذى يحقق لنا التقدم والحرية الحقيقية و ﴿ إِنَّ هَذَا القُرْآن يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء : ٣٠] . وبه نقيم حضارة على

منهج العبودية وخلافة على منهاج النبوة ونرضى به ربنا من قبل ومن بعد ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ، اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [الحديد : ١٦] . وعلينا دائماً ان نتذكر قول عمر لأبى عبيدة رضوان الله عليهما « إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله » إن كلاماً كهذا يسمى فى مصطلح اليوم رجعية فمن يجاهر بالرجعية ومن يؤثرها على التقدمية . حسبنا الله ونعم الوكيل فهى نصيحة واجبة نسديها وندخر ثوابها عند الله ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٨٩] . ونسأل الله الاخلاص فى القول والعمل ونثنى عليه سبحانه بما هو أهله .

فاللهم لولا أنت ما أهتدينا ولا تصـــدقنا ولا صـــلينا

إن العــدا قد بغـوا علينـــا وإن أرادوا فتنــــة أبينـــا

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

المحتـــوى

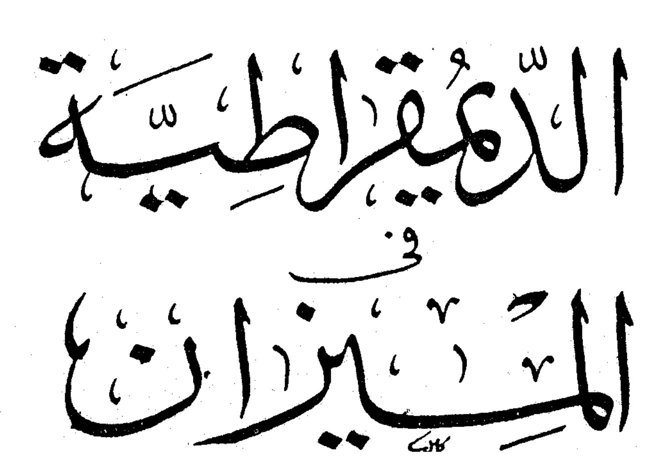
الديمقراطية في الميزان

أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون

الآية ٥٠ من سورة المائدة

بقلم
سعيد عبد العظيم
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دار الفرقان
لنشر وتوزيع التراث الإسلامي



بقلم
سعيد عبد العظيم
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

هذا الكتاب

- نصيحة للمفتونين بالديمقراطية : ذلك الوثن العصرى .
- وبيانٌ لزيفها وخطأ نسبتها للإسلام .
- وتفنيد لشبهاتها وفق نصوص الكتاب والسنة .
- وتحذير من الأخذ بها كنظام عالمى يسعى أعداء الإسلام لفرضه وتطبيقه .
- وهو قبل ذلك وبعد ذلك نذير ليحيَّى من حيَّ عن بينة ويهلك من هلك أيضاً عن بينة .

اقرأ فى هذا الكتاب

دار الفرقان
لنشر وتوزيع التراث الإسلامى
ابراهيم عبد الوارث
معهد إعداد الدعاة ـ مسجد الفرقان بباكوس